العدد «٢٩» السنة الثالثة. رمضان ١٤٠٥ هـ يونيو ١٩٨٥ م



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين



السودان وتحديات المستقبل





بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

تحولات الوضع اللبناني :
أمل تقود المؤامرة

منذ منتصف أبريل الماضي، أصبح واضحاً أن «أمل» نبيه بري قد إختارت لها دوراً جديداً في الساحة السياسية اللبنانية. فمع منتصف ليل الثلاثاء ١٦ نيسان (أبريل)، وحتى ظهر الأربعاء التالي عاشت مدينة بيروت الاسلامية أسوأ ست عشرة ساعة في تاريخها. ليس فقط لأن القتال الذى إندلع في شوارعها كان أشد وأقسى مما عانته حتى أثناء الحصار الاسرائيلي ولكن، لأن الهاونات وراجمات الصواريخ كانت تطلق من أيدى — من أُفترض فيهم الاسلام — على من (أُفترض فيهم الاسلام) كذلك، في الوقت الذى كان فيه سكان المدينة الصابرة هم الضحايا.

وفي نهاية القتال كانت سيطرة أمل على المدينة قد استقرت بعد أن تمت تصفية قوات حركة «المرابطون» الناصرية، وتدمير مقر قيادتها، وإخراس إذاعتها. ولكن الوحشية التي صاحبت القتال ما كان يمكن أن تمر بدون ملاحظة، بعد أن أكدت معظم التقارير قيام قوات «أمل» بنهب مسجد عبد الناصر المجاور لقيادة «المرابطون»، إضافة الى ذبح عائلة بأكملها إشتبه بأن رجلها كان أحد أفراد الجهة الأخرى. وقد ادعت «أمل» في بيانها حول الأحداث أن تحالفاً بين «المرابطون» وجماعة عرفات كان يهدف الى الاخلال بالأمن في بيروت ونشر الفوضى ومن ثم السيطرة عليها مما دعا أمل الى التحرك لاجهاض المؤامرة.

والذى يعرف الوضع اللبناني المعقد يدرك أن ادعاء «أمل» لا أساس له من الصحة لأن «المرابطون» وقائدهم إبراهيم قليلات كانوا دائماً من أشد المعارضين لعرفات وإن كان لهم حلفاء بين الفلسطينيين فهم بلا شك المنشقون على قيادة عرفات وفتح. ولكن بيان «أمل» على أي حال كان يحمل ما يكفي من الاشارات الى أن معركة «أمل» ضد المخيمات الفلسطينية قادمة على الطريق وبأسرع مما تصور الكثيرون.

الأحد ١٩ أيار (مايو)، كانت قوات أمل تحاصر المخيمات الفلسطينية الثلاث جنوب مدينة بيروت، برج البراجنة، صبرا، وشاتيلا. ويوم الاثنين أول شهر رمضان المبارك كانت قذائف الهاونات

والصواريخ والرشاشات تصب نارها على المسلمين الفلسطينيين في المخيمات الثلاث.ورغم محاولات المدافعين عن المخيمات للصمود في وجه الهجمة البربرية لحلفاء الأمس، إلا أن قلة عددهم وضعف تسليحهم أدى بعد أكثر من أربعة أيام من القتال الشرس الى أن تقتحم دبابات «أمل» شوارع المخيمات الصابرة المجاهدة، التى قاتلت بصلابة ضد الحصار العبرى الوحشي في صيف ١٩٨٢، وعانت معاناة لا تطيقها أمة في أسبوع المذابح الشهير في خريف نفس العام، وهي اليوم تواصل رحلة الألم على يد الأشقاء !!!

حركة «أمل» أو «أفواج المقاومة اللبنانية» تأسست في منتصف السبعينات باشراف وتوجيه من السيد موسى الصدر رئيس المجلس الشيعى الأعلى في لبنان، وقد أراد لها مؤسسها طريقاً سياسياً وإجتماعياً غير طائفي، إلا أنها في حمى الوضع اللبناني إقتصرت على أوضاع الطائفة الشيعية. وعندما بدأت «أمل» في إنشاء جناحها العسكرى كانت لحركة «فتح» الفلسطينية الدور الأكبر في التدريب والتجهيز والتغطية السياسية والعسكرية. ونتيجة لتكوين وطموحات السيد موسى الصدر لم تستطع «أمل» أن تكون يوما حركة إسلامية حقيقية. فقد سيطر على قادتها في معظم المراحل شخصيات تقليدية وليبرالية من أمثال حسين الحسيني، ونبيه بري.إلا أن الاسلاميين استطاعوا مع السنوات أن يؤسسوا لهم موقعاً قوياً من الحركة الى أن سارع بعضهم للانشقاق بعد الاجتياح الصهيوني للبنان تحت اسم «أمل الاسلامية» إحتجاجاً على قيادة وسياسات نبيه بري المهادنة للعدو الصهيوني. ومما لا شك فيه أن «أمل الاسلامية» في البقاع، و«حزب الله» بقيادة الشيخ محمد حسين فضل الله في بيروت قد سحبت البساط الاسلامي والى درجة كبيرة من تحت أقدام قيادة «أمل» الحالية ورغم الهيمنة السورية الواضحة على الأوضاع والقوى السياسية في لبنان، إلا أن «أمل» في معظمها تعتبر من أصدق حلفاء دمشق الحاليين في لبنان.ولعل خلف هذه الحقيقة يقع تفسير ماحدث في بيروت طوال الأسابيع الأخيرة...

مباشرة قبل الانسحاب الاسرائيلي من صور، صرح رئيس الأركان الاسرائيلي برغبته في التفاهم مع «أمل» نبيه بري على أن يسمح لها بالسيطرة على الجنوب مقابل أن تضمن أمن العدو الصهيوني من أن يخترق من قبل المقاتلين الفلسطينيين.ومساء يوم الانسحاب وقف داود داود مسئول حركة «أمل» في صور، وأكد للصحفيين بأن حركته لن تسمح للمخيمات الفلسطينية في الجنوب بأن تحمل السلاح ثانية. وفي أيام قليلة كانت حواجز أمل تحيط بكل مخيمات صور وتفرض عليها حصاراً فعلياً. وفي مطلع النصف الثاني من نيسان (أبريل) الماضي كان المبعوث الأمريكي روبرت مورفي يطوف بالعواصم العربية مبتدءاً بدمشق، وكانت معظم التقارير تشيرالى أن هدف جولته الحقيقي هو الاتفاق مع حكام دمشق حول المرحلة الجديدة في لبنان بعد أن أصبح واضحاً أن الانسحاب الاسرائيلي سيكتمل مع حزيران (يونيو) القادم. وفي أيام قليلة كانت قوات «أمل» الحليف الرئيسي

لدمشق تجتاح مواقع «المرابطون» في بيروت الغربية، ثم تقدمت قوات جنبلاط الحليف الثاني لدمشق في إقليم الخروب وحتى مشارف الجنوب مكتسحةً كل المواقع المسيحية. ومع مطلع رمضان المبارك كانت «أمل» تواصل حملتها في بيروت لاخضاع المخيمات الفلسطينية وتجريد أبنائها من بنادقهم، رغم الاحتجاجات الصارخة من «حزب الله» و«حركة التوحيد» و«تجمع العلماء المسلمين»، والغضب والواضح في كل المنطقة من طهران الى الرباط.

ويشير مسلسل الأحداث الى ما يلي :

* أن نظام الأسد في سوريا يدفع بحلفائه في لبنان الى تجهيز الأرض لعودة قوات الردع السورية كآخر مرحلة لضبط المعادلة اللبنانية في الجيب السوري، وذلك عبر إتفاق سوري ــ إسرائيلي ــ أمريكي لضمان أمن العدو الصهيوني في الأراضي اللبنانية وذلك يستدعى ضمناً تصفية كل وجود فلسطيني مسلح في لبنان، سواءاً كان تابعاً لعرفات أو للمنشقين عليه من حلفاء سوريا.

* أن الخطوة السورية تهدف أيضاً الى إحباط الانتصارات الاسلامية في لبنان، وإجهاض كل المحاولات الاسلامية الحقيقية لتثبيت مكاسب المسلمين على الأرض، وترى دمشق أن تصفية «المرابطون» والفلسطينيين سيكون رادعاً لكل من تسول له نفسه بالخروج على طاعة الحكم السورى إضافة الى أن تلك الخطوات مطلوبة في حد ذاتها.

* أن الأمريكيين والسوريين قد أدركوا ما أشار إليه الرئيس المصرى مبارك عقب عودته من واشنطن في تصريحه لباتريك سيل (مجلة الأوبزرفر البريطانية) من «أن تحالفاً فلسطينياً إسلامياً على وشك البروز» مما سيؤدى الى ضرب كل المعادلات القائمة ولا شك أن هناك نفساً إسلامياً واضحاً يتصاعد بين الفلسطينيين في لبنان وتربطه علاقات وثيقة بكل الاسلاميين الثوريين سنة وشيعة في طرابلس وبيروت وصيدا، وقد جاءت الضربة الأخيرة لاجهاض تصاعده وتناميه وتقويته...

إن تحولات السياسة اللبنانية، كما يتضح كل يوم، قد أصبحت مؤشراً على تحولات الوضع في كل منطقة قلب الوطن الاسلامي، ولعل تصدى قيادة حركة «أمل» لمؤامرة ضرب الاسلام في لبنان تؤشر الى بداية سقوط «أمل» نفسها، فهي الآن تقوم بنفس الدور الذى عجزت الميليشيات المارونية عن تحقيقه فيما يتعلق بحماية حدود إسرائيل وأمنها في الأراضى اللبنانية ضد المحاولات الاسلامية الفلسطينية للمقاومة والاختراق، بل أن قيام «أمل» بالقصف الوحشي ضد مخيمات صبرا وشاتيلا يجعل منها الوريث الشرعي والحقيقي لأولئك الجزارين القتلة الذين ارتكبوا المذابح قبل ثلاثة أعوام في صبرا وشاتيلا.

ــ الطليعة الاسلامية ــ

رسالة الى ياسر عرفات

سأتجاوز أكثر من حقل ألغام وأكتب إليك رغم المخاطرة.. فخصومك لا يقبلون بأقل من إعلان الحرب ضدك والغضب عليك والمطالبة برأسك وأنصارك لا يقبلون بأقل من المديح التام وشعبنا يقف في المابين يده في النار وعين الحيرة على المستنقع الذى وصلنا إليه والذاكرة الفلسطينية العجيبة ترحل في التواريخ البعيدة والقريبة...قبل أكثر من عشرين عاماً كانت فتح كوردة تتبرعم فوق الجرح كما حاول أحد الشعراء أن يأمل.. كانت فتح.. وكانت فلسطين من النهر الى البحر هى الشعار والهم واسم المرحلة.. عشرون عاماً فقط يا سيدى فاذا فلسطين وفد من المترفين الثرثارين أبطال الصالونات والمفاوضات تضمهم حقائب جلالة الملك الأردني الى بلاط الشيطان الأكبر في واشنطن..عشرون عاماً من الدم والصبر هل يمكن أن تنتهي فجأة تحت عنوان «الاتفاق الأردني ــ الفلسطيني» والذى لا يعني إلا أن نبدأ بخلع آخر ما تبقى يستر أجسادنا.. هل نسيت كلمات شاعرك المفضل :

«في زمان الحرب غطتني الشظية
في زمان السلم غطاني العراء»

في يوم ما وقبل رحيل عبد الناصر خرجت الجماهير في بيروت تهتف باسمك «ياسر مش عبد الناصر» كانت تشعر حينها أن حلمها وفارسها يأتي من غبار المعارك وليس من بيانات الاذاعة وثكنات الانقلابيين العسكرية وشرب الانخاب مع رسل الشيطان الاكبر.. واليوم كيف يمكنك أن تقنع هذه الجماهير أن الفرق بينك وبين حكام العرب ليس مجرد فرق في التوقيت.. تبهت خلاله صورة المقاتل وتبرز صورة الدبلوماسي (المحنك) الذى لا يحمل إلا قلماً ولا يملك إلا أن يوقع. أنصارك يا سيدى يطلبون منا أن نكون أكثر واقعية فماذا عليه.. عليك أن تفعل ؟

سؤال يتردد كل يوم على لسان صغارهم وكبارهم دون أن يفكروا أنه السؤال الأكثر سذاجة وحمقاً وتضليلاً على الساحة الفلسطينية.. ماذا على من يفكر بالانتحار أن يفعل ؟ الذى يمضي

على أرض هشة هل هو مضطر للتوقف أم يمضي الى أرض أكثر تهافتا ؟خروجك يا سيدى من بيروت فطرابلس الى محور بغداد ــ عمان ــ القاهرة كحال المستجير من الرمضاء بالنار وكحال الهارب من الدلف الى المزراب.. بالله عليك ماذا يمكن أن تجد ثورة وفلسطينية بالذات في محور كامب ديفيد غير مزيد من الحصار والتآكل والهزائم ثم الانتحار.. فيد صدام بغداد ملطخة بدم الفلسطينيين كما هي يد أسد دمشق أما الملك الأردني فهو العدو رقم (١) لشيء اسمه م.ت.ف. طالما أن هذه الحروف تعني منظمة التحرير الفلسطينية لأنه يراها منافسة له على الضفة ان لم يكن على العرش نفسه أما مبارك فلا زال حامي حمى الكامب الملعون وحارس منجزاته الأمين..

وغدا سيلفظونك يا سيدى كما تلفظ النواة وكما فعل حلفاؤك التقدميين من الاتحاد السوفيتي وحتى اليسار اللبناني (عميل كل الجهات) مروراً بكل العواصم التقدمية من دمشق الى طرابلس الغرب الى الجزائر الى عدن.. لقد تخلوا عنك جميعاً علمانيين وتقدميين وقوميين وشيوعيين لأنك لم تعد بالنسبة لهم البقرة الحلوب ولأنهم استنزفوك حتى آخر قطرة.

وحدها.. وحدها.. وحدها وفي أشد اللحظات ألماً كانت الجماهير المسلمة تحتضنك.. الجماهير التي لم تنس الأخطاء ولا الخطايا ولكنها تأمل أن تصحو وأن تبتعد عن نار الزيف التي اكتوت هي نفسها بها عشرات السنين.

قبل أيام قرأنا كلماتك أن الاسرائيليين لن يوافقوا على شيء ولن يسلموا بشيء وأن ما تفعله فقط من أجل وحدة الصف العربي..

ملعون صف لا توحده إلا مشاريع الاستسلام يا أباعمار.. إن أبسط دروس تاريخنا التي تعلمناها أن الجهاد والجهاد وحده هو الكفيل بوحدة الموقف والصف.. موقف الأمة وصف الأمة وليس صف الطغاة.

سيدى.. هذه أرض الرباط الى يوم القيامة ووحدهم الأموات يشهدون نهاية الحرب..

عزالدين مجاهد

حوار مع الأستاذ راشد الغنوشي



يعتبر الاستاذ راشد الغنوشي ــ وبلا شك ــ أحد أبرز الوجوه التي تقود الحركة الاسلامية المعاصرة، وهو من القلائل الذين جمعوا عمق الفكر الى حصافة القيادة وحنكتها. فهو صاحب مدرسة متميزة في الفكر الاسلامي المعاصر وقد تجسدت هذه المدرسة من خلال تجربة حركة الاتجاه الاسلامي في تونس والتي يقودها الاستاذ الغنوشي منذ سنوات، والتي أخذت على عاتقها ــ وبجدارة ــ قيادة عملية الوعي والتغيير الاسلامي على الساحة التونسية.

وقد تم الافراج عن الاستاذ الغنوشي في شهر آب (أغسطس) ١٩٨٤، كما تم الافراج عن عدد من مناضلي حركة الاتجاه الاسلامي بعد أن أمضوا سنوات من الاعتقال في تونس بسبب معارضتهم للسياسات البورقيبية. وقد نشر هذا الحوار في عدد أبريل في مجلة (أرابيا) الصادرة في لندن ونظراً لأهميته رأت «الطليعة الاسلامية» أن تقدمه مترجماً لقرائها.

*** نرجو أن تقدم لنا نبذة عن سيرتك، وكيف بدأت نضالك في سبيل الاسلام ؟**

ــ لقد أتممت تعليمي الثانوي في المدرسة الزيتونية القديمه قبل أن تغلق على يد الحكومة التونسية. لقد كنت واحداً من جيل طلبة المدرسة الزيتونية خلال السنوات الأولى من عهد الاستقلال، وأذكر أننا كنا نشعر بالغربة في وطننا حيث تم تعليمنا وتربيتنا كمسلمين وكعرب بينما كانت البلاد تتكرس تماماً باتجاه الثقافة الانتماء الفرنسي. وبالنسبة لنا، كانت أبواب التعليم العالى موصدة في وجوهنا لأن الجامعة قد تم تغريبها تماماً. فتعين على الذين يرغبون في إكمال تعليمهم العربى في ذلك الوقت أن يذهبوا الى أحد أقطار الشرق العربى. ولقد كنت واحداً من هؤلاء الذين قرروا الحصول على تعليمهم العالى في تلك الأقطار حيث درست وتخرجت في كلية الفلسفة والآداب في دمشق متخصصاً في الفلسفة بعد أربع سنوات من الدراسة. وأذكر أنه عندما بدأت دراستى الجامعية في دمشق عام ١٩٦٤ كانت النزعة القومية العربية هي الاتجاه الغالب على البلاد ولذا فقد اقتربت من ذلك الاتجاه لفترة من الزمن، ولقد كان المحتوى الفكرى لذلكالاتجاه هو الاشتراكية العلمية القريبة جداً من الماركسية وبالتالى فقد أصبحت خلال سنواتى الأولى الجامعية علمانياً. ولكن على المستوى النفسى الداخلى لم أتوقف عن كونى مؤمناً حيث لم أتوقف عن الصيام في شهر رمضان لكن في الوقت نفسه لم أحافظ على الصلاة والواجبات الدينية الأخرى. ودائماً كنت أفهم كيف ينبغي أن أكون عربياً وكذلك مسلماً وبشكل لا يقتضى الانفصام بين الحالتين، وهكذا كان الأمر مفهوماً بالنسبة لشعبنا في شمال أفريقيا على عكس ما هو قائم في أقطار الشرق العربي حيث يتواجد العرب المسيحيون وغيرهم من الطوائف الأخرى الغير إسلامية، وحيث أن مفهوم العروبة فى تلك الأقطار غالباً ما يقدم مضاداً للاسلام غير أن انتمائى لتلك النزعة القومية العربية لم يستمر طويلاً حيث تعرفت على الاتجاهات الناشطة الأخرى في الجامعة وتحديداً الاسلاميين الذين بدأت معهم حواراً أدى الى إضعاف تلك النزعة القومية العربية في عقلي ووجداني، وبعد قليلمن الزمن أدركت أن القومية العربية كانت مضادة للاسلام بينما كان وجداني وعاطفتى العربية التى تربيت عليها والاسلام شيء واحد بالنسبة لى، في تلك الفترة كنت عضواً في الحزب الناصرى القومي في سوريا (الوحدويون الناصريون) ولكن بمجرد أن وعيت وتعلمت حقيقة الأمر تركت ذلك وتبنيت الاسلام بشموليته الكاملة. وفيما بعد شعرت بميل حقيقي للنضال ضد كل تلك الاتجاهات العلمانية وظواهرها الفكرية والسياسية. بعد ذلك، انتقلت الى فرنسا من أجل متابعة دراساتى العليا هناك ولكن بسبب بعض الظروف الأسرية قررت أن أعود الى تونس بعد سنة واحدة حيث بدأت عملي كمدرس فلسفة في مدرسة ثانوية في تونس، ومنذ تلك اللحظة

بدأت نشاطي الاسلامي بين الشباب وكان ذلك في أواخر الستينات.

وفي تلك المدرسة، بدأنا نشاطنا بإعادة فتح المسجد القديم الذى كان مهجوراً لبعض الوقت. وفي مراحلنا الأولى، كرسنا جهوداً كبيرة لنبين للطلبة مجموع الأخطاء والتناقضات التى وقعت فيها الأيديولوجيات والدعوات المادية مستخدمين في ذلك الحجج المنطقية والأدلة العقلية. وبعد ذلك كان علينا أن نقدم وجهة نظر الاسلام وسموها على المبادئ الغربية، وفي الحقيقة شهدت مرحلة السبعينات إنجازات عملنا الحقيقى عندما تشكلت أول مجموعة صغيرة من الشباب المسلم في العاصمة تونس. وفي تلك السنوات (الأولى) كان صعباً أن تجد شاباً محافظاً على الصلاة خصوصاً إذا كان مما يسمى بالطبقة المثقفة (المتعلمة)، وكذلك كان من المحال أن تجد فتاة محجبة على النمط الشرعى، ومن بين أعضاء أول مجموعة كان عبد الفتاح مورو. كان لدينا مستويات للنشاط، الأول في المدارس الثانوية حيث أقمنا المؤتمرات واللقاءات، والثاني في المساجد حيث نظمنا دروساً عن الاسلام. وفي بعض الاوقات خرجنا الى الشوارع لندعو الناس الى الاسلام كما تفعل جماعة التبليغ مثلاً.

*** هل حاولت السلطات التونسية أن تعرقل هذه النشاطات؟**

ـ في ذلك الوقت، لم يتوقع أحد أن تحقق حركة اسلامية أي نجاح في قلب ذلك الجو المشبع بالقيم المادية، حيث كان كل شيء يدعو الى انتهاك الاسلام وتخطي حدود الاسلام. وقد أخذ النظام احتياطاته ضد تسييس الشباب وتعبئتهم عقائدياً، وذلك عن طريق اغراقهم بالنزعات المادية التى تجعلهم غير صالحين لأى عملية فكرية. ولكن على أي حال عندما نما حجم الاسلاميين بين الشباب حاولت الحكومة شل جميع أنشطتنا. وقد أرغمنا الوضع الجديد على التفكير في أشكال جديدة للعمل والنشاط حيث قررنا تغيير استراتيجيتنا ونقل أنشطتنا الى حيز السرية وفي منازلنا وأماكننا الخاصة. ولقد شكلنا مجموعات لنعلم أنفسنا الاسلام وكانت كل مجموعة تضم عدداً من الأخوة من ثمانية الى عشرة شبان وكان لكل مجموعة مسئول منها. وتضمن منهاجنا التعليمي حفظ القرآن الكريم وكذلك دراسة وتدبر السنة النبوية الشريفة (الحديث)، إضافة الى علوم الاسلام الأخرى. وحرصنا على مساعدة بعضنا البعض في كل ما يقربنا الى الله سبحانه وتعالى، مكونين في ذلك مجتمعاً إسلامياً صغيراً، ومن ذلك مثلاً أننا رتبنا مساهمات مالية على أنفسنا لتغطية نفقات نشاطنا. وقد نمت هذه المجموعات الصغيرة وترعرعت حتى غطت جميع أنحاء البلاد.

بعد مرحلة معينة، انتقل طلاب المدارس الثانوية الى الجامعة حيث بدأ هناك الصراع بين الاسلاميين والماركسيين الذين كانوا مهيمنين على مقاعد الدراسة في الجامعة والذين لم يترددوا أبداً في اللجوء الى «العنف

الثورى» ضدنا. وقد أملى هذا الموقف على الاسلاميين أن يردوا بالمثل في أكثر من مناسبة للدفاع عن أنفسهم. وبعد عشر سنوات من الصراع المستمر أصبح الاسلاميون القوة الأهم في الجامعات وهم الآن يعتبرون الحركة الأقوى بين جميع الاتجاهات الطلابية، كما استطاعوا أن يؤسسوا مسجداً في كل مدرسة ثانوية.

وعلى ضوء نجاح دعوتنا، قررنا أن ندخل الى قطاعات العمل والعمال من خلال النقابات العمالية حيث يسود في وطننا تقليد قوى مفاده أن المنظمات العمالية التونسية تشكل أقوى تجمعات من نوعها في القارة الافريقية والعالم العربي، وقد كانت الأوضاع النقابية التونسية على النحو الآتي:

أولاً: كان الاتحاد العام للشغيلة التونسية مُهيمنا عليه ومحكوماً من قبل الحزب الدستورى الاشتراكي الحاكم (حزب الحكومة)، وبعد صراع طويل استطاع الماركسيون السيطرة على الاتحاد، وفي أواخر السبعينات وقع إضراب عمالى عام في البلاد وحدثت مواجهات دامية بين العمال (الشغيلة) وقوات الأمن الحكومية وأدت الى وقوع العديد من الاصابات. وكنتيجة لذلك فقد تم استبعاد الحزب الدستورى الحاكم من الاتحاد، ومن جانبنا فقد بقينا خارج دائرة الصراع في تلك الأزمة ولم نتورط في أعمال العنف الدائرة آنذاك، حيث لم نقم بأى أنشطة نقابية لأننا تحاملنا على هذا النوع من العمل النقابي (العمالي) لشعورنا يومها بأنه غريب أو مستهجن بالنسبة لتفكيرنا. وكانت المواجهة الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء بالنسبة لنا صيغة ماركسية ولا تمت الى مفاهيمنا بصلة. ولكننا بعد ذلك أدركنا أن الاسلام لديه ما يقوله و يقرره في هذه المسألة، وأن علينا كمسلمين أن نكف عن عدم الاكتراث بتلك المواجهة لأن الاسلام يدعم المقهورين والمستضعفين.

ووجدنا في بلادنا أن الطبقة (المجموعة) المتحالفة مع الرأسمال العالمي تستغل عامة الناس، وبذلك فان عملية التوافق والاتزان ضمن التكافل الاجتماعي قد انكسرت.

وبالرغم من أن الاسلام لا يدعو الى المساواة المطلقة بين الناس في المستوى المادى لكون ذلك مستحيلاً، لكنه من المؤكد أيضاً أن الاسلام لا يقبل مطلقاً أن تستحوذ قلة من المجتمع الاسلامي عل كل شيء بينما يموت الآخرون جوعاً. ولقد قال الرسول صلى الله علية وسلم: «ليس منا (ليس مؤمناً) من بات شبعاناً وجاره جائع وهو يعلم به»، وفي حديث آخر مشهور يثني الرسول عليه الصلاة والسلام على قوم من أهل المدينة هم الأشعريون فيقول فيهم ما معناه «عندما تنفذ مؤونتهم، أو يضربهم الفقر، فانهم يجمعون ما خزنوه ونتقاسمونه بينهم، إني منهم وهم مني»

كان موقفنا واضحاً، حيث وقفنا بجانب المقهورين والمحرومين ومن ذلك المنطلق طورنا وعينا ومفهومنا نحو القضايا الاجتماعية. بدأ الاسلاميون يشاركون في أنشطة وحركات اتحادات التجارة وهم حالياً يمثلون قوة حقيقية

في هذا المجال.

وجاء قبول الناس للاسلام، خصوصا بين الشباب حيث كانت تمتلىء المساجد بآلاف من المؤمنين المواظبين على الدروس، كل ذلك أدى الى تكريس الاحياء الاسلامي الثوري في تونس والذي إعتبره النظام تهديداً له و بالتالى فقد بدأ النظام التونسي يرقب بحذر هذه الحركة الجديدة. وقد بلغ اهتمام النظام بالظاهرة قمته عندما قدمت الحركة طلباً رسمياً الى السلطات للاعتراف بها كحزب سياسي. ولقد كانت الحكومة تعلم جيداً أن حركتنا شعبية جداً وأن جذورها عميقة، وأنه في حالة مشاركتنا في انتخابات حرة فان النصر سيكون حليفنا. ومن ناحية أخرى، كانت جميع الأحزاب تحت سيطرة الحكومة وكان واضحاً أنها لا تمثل مخاطر حقيقية.

كل تلك الظروف الداخلية والخارجية أدت بالحكومة الى قمع حركتنا وعلى نطاق واسع. في السابع عشر من رمضان عام ١٤٠١ هجرية (يوليو ١٩٨١)، تم اعتقال جميع القياديين المعروفين للحركة وكذلك الأعضاء، والأنصار (المتعاطفين)، أو كل من يشتبه بهم، ووضعونا جميعاً في السجن، ثم جرت فيما بعد محاكمتنا، وصدرت ضدنا أحكام قاسية بالسجن يصل بعضها الى ١٨ عاماً.

*** ما هي التهم التى وجهتها الحكومة ضد أعضاء الحركة ؟**

— كانت الذرائع التى قدمتها الحكومة لاعتقالنا تنحصر في اتهامنا بانشاء تنظيم سري، و بأننا قمنا باهانة رئيس الدولة. ولقد تطوع أكثر من مائة محام وقانوني للدفاع عنا، كان بعضهم ينتمون الى التيار الاسلامي و بعضهم الآخر ينتمون الى تيارات أخرى، وكانوا على إستعداد لاظهار بطلان وزيف كل تلك الاتهامات، حيث لم تكن حركتنا سرية وقد قدمنا الدليل على ذلك وكان طلباً رسمياً من أجل ترخيص حزبنا كالاحزاب الأخرى، أما «الأدلة» التى قدمها النائب العام فقد كانت النسخ المزيفة لبعض المطبوعات التى أصدرناها. وقد استمرت القضية تحت نظر المحاكم حوالي ثلاث سنوات.

ولقد ظنت الحكومة أن الحركة قد تفككت بعد كل محاكمة، ولكن في كل مرة تظهر مجموعات جديدة يفترض أنها قيادة الحركة. و بعد ثلاث سنّوات من الاعتقال الأول أدركت الحكومة التونسية أن قوة الحركة ازدادت، وكذلك شعبيتها ومصداقيتها تنمو يوماً بعد يوم الى حد أنه لا بد لأى صحيفة أومجلة أن تنشر شيئاً عن الاسلاميين لتتمكن من بيع جميع نسخها.

في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤ ، واجهت الحكومة التونسية مشكلة خطيرة فيما عرف «ثورة الخبز»، وقد كشفت عن ضعف النظام وسياساته، و بالتالى كان على الحكومة ان تقدم بعض التنازلات للشعب. وهكذا أُطلق سراحنا بفضل الله ورحمته، وتم العفو عنا.

*** ما هي — باختصار — المواقف والأعمال التي اتخذها نظام بورقيبة نحو الاسلام ؟**

— لعله من المثير أنه خلال فترة المقاومة، وعندما كان بورقيبة يحارب من أجل استقلال تونس عن الحماية الفرنسية، فانه — بورقيبة — قد استفاد من القرآن الكريم والحديث الشريف في خطاباته و بياناته، كما تعود آنذاك أن يلقى خطبه وتوجيهاته في المساجد. ولقد ألف بورقيبة كتاباً عام ١٩٣٦ يوبخ و يدين السيدات اللاتي يخرجن من بيوتهن بغير حجاب. لكن في عام ١٩٥٧، و بعدما وصل الى سدة الحكم، فقد منع الحجاب، وفرض السفور، و بحركة مسرحية فقد كشف امرأة ومزق حجابها على الملأ. وفيما بعد، عام ١٩٨١ صدر قانون يمنع حجاب النساء اللاتي يعملن موظفات في دواو ين الحكومة أو طالبات الجامعات والمدارس.

وفي عام ١٩٥٩، منع بورقيبة تعدد الزوجات، وهذا القانون لازال ينفذ الى اليوم. في عام ١٩٦٠، منع بورقيبة الصيام في رمضان متعذراً بأن الصوم ضار باقتصاد البلاد، وقام بتناول مشرو به على الملأ داعياً التونسيين الى الافطار في نهار رمضان. في عام ١٩٧٤، قرر بورقيبة أن القرآن الكريم يناقض بعضه بعضاً، كما استهزأ بمعجزات النبى موسى عليه السلام.

بالرغم من أنه قبل بورقيبة كان هنال حكام لا يتبعون الشرع ولا يتصرفون تبعاً له، لكنهم لم يستهزئوا بالاسلام ولم ينتهكوا القوانين الاسلامية بفرض بدائل عنها، بالرغم من أنهم غير مؤمنين في دخيلة نفوسهم. لكن بورقيبة كان نشطاً في محاربة الاسلام وفي فرض جميع قيم الحياة المادية الغربية على تونس.

هل اتخذ علماء تونس أى موقف ضد الحكومة عندما حدثت هذه الاضطهادات ؟

— منذ بداية ما يسمى بعهد الاستقلال، جرى إضعاف سلطة العلماء حيث أن أي عالم يجرؤ على الكلام ضد الحكومة فانه يفصل من عمله و يضيق عليه وتصعب عليه الحياة. وعندما منع بورقيبة صيام رمضان، قام اثنان من العلماء هما الشيخ عبد الرحيم الحالف، والشيخ الورتاني، وقد أدين كلاهما من قبل النظام وحكم عليهما بالسجن ثلاثين عاماً، بالرغم من العفو اللاحق.

وفي عام ١٩٦٢ اشترك مجموعة من العلماء مع ضباط من الجيش في محاولة لقلب نظام الحكم، وقد اكتشفت المحاولة التى تورط فيها اثنان من كبار العلماء وحكم عليهما بالاعدام، هما الشيخ الرحموني والشيخ عبد العزيز العقابي وقد أعدما رحمهما الله.

*** تحدثنا كثيراً عن الماضي، ماذا عن المستقبل ؟ كيف ترون الاحياء الاسلامي في جنوب أفريقيا وبالذات تونس ؟**

— اى مايدعى بحركات التحرير التى ظهرت في المغرب لتجارب المسْعمرين، ثم وصلوا الى السلطة وغدروا بالشعوب التى قاتلت في سبيل الاسلام، ومن يومها وهم يحاولون شل الاسلام وتدميره أكثر مما فعل المستعمرون أنفسهم.

ان السلطة حالياً في يد النخبة المتغربة،

وهذه النخبة لا تمثل إلا أقلية مفروضة بقوة الدولة والجيوش وأعلام السلطة الموجه نحو الجماهير المسلمة. هذه النخبة تم تعليمها على يد المستعمرين وهم الذين أورثوها الحكم والقوة. إن النخبة القادمة التي سوف تحكم تونس الاسلامية لا بد أن تخرج من هذا الجيل المسلم الجديد الذى يلاحقونه و يتعقبونه ويحاكمونه، انهم سوف يعيدون بناء الاسلام في هذه الأرض ان شاء الله.

*** تأسس الاقتصاد التونسي على دخل السياحة وكذلك على مدخرات وتحويلات المهاجرين التونسيين في فرنسا، وهذان المصدران يساهمان في عملية الانحطاط المعنوي والأخلاقي للبلاد وفي إفشال التوجه والممارسات الاسلامية، كيف سيصبح حال الاقتصاد التونسي لو فقد هذين المصدرين ؟**

ــ ان ثروة الأمة هى حصيلة الجهود الفعلية للشعب، وفي المقابل، فان الانسان الذى صنعه نظام بورقيبة هو ذلك الانسان الذى ينتظر الخير يأتيه من مكان آخر كما في حالتي السياحة والهجرة. ان الانسان الذى انتجه نظام بورقيبة هو الانسان الاستهلاكي والذى لا يعرف الجدية. إن أساسيات اقتصاد البلاد تتغير عندما يرى الانسان التونسي في الحياة شيئا سامياً، عندما يعتقد بالثواب في الآخرة و بقيمة الجهود المبذولة في سبيل الله.

ان تطوير اقتصاديات أى دولة مسألة صعبة وتقتضي جهوداً مضنية وكفاحاً مستمراً. في الماضي كانت تونس أساسا دولة زراعية، أما الآن فان الزراعة لا تساهم بأكثر من ١٥ ــ ١٨٪ من الناتج القومي العام. وكانت تونس تسمى عند الرومان بأنها أهراء (مخزن غلال) أوروبا، أما اليوم فان أكثر من نصف الغذاء الذى نحتاجه مستورد. وقد قام الفرنسيون باقتلاع أشجار الزيتون وزرعوا الكروم حيث أصبحت تونس اليوم منتج رئيسي للخمور. لقد تم بناء إقتصاد البلاد ليكون معتمداً على أوروبا و بشكل تام وحيثما تعاني أوروبا من أى نكسة إقتصادية فان الاقتصاد التونسي ينتكس أيضاً. إن الروابط الاقتصادية الطبيعية يجب أن تكون بين تونس والبلاد العربية وأفريقيا حيث يمكن تبادل الخدمات والسلع.

فشل الخيار الأمريكي في السودان

منذ أن أعلنت الولايات المتحدة في شهر شباط (فبراير) الماضي عن تعليقها للمساعدة الاقتصادية للسودان والمقدرة بحوالي مائتي مليون دولار، والتي تلتها تحركات ومساع أمريكية من نفس النوع، منذ ذلك بدا واضحا ان نظام جعفر نميرى قد أصبح موضع أخذ ورد لدى حلفائه الرئيسيين سواءاً في الولايات المتحدة أو لدى توابعها فى مصر ودول الخليج وقد تلى هذه الاجراءات الأمريكية ــ التى ربطت عودة المساعدة بالتزام السودان بالتوجيهات الاقتصادية للبنك الدولي ــ إعلان السعودية وأبوظبي أيضاً عن ايقاف مساعدتهما للسودان ولنفس الأسباب الأمريكية. وقبل ذلك بزمن، تقدم مجموعة من النواب الأمريكيين فى الكونغرس برسالة الى وزير الخارجية الأمريكية طالبين فيها بوقف المساعدة عن السودان حتى «يتخذ السودان سياسات باتجاه المصالحة السياسية والمفاوضات»، والقصد بالطبع فى مسألة المصالحة والتفاوض أن يكون مع قوى المتمردين فى جنوب السودان، وفى الوقت ذاته عبر مسؤول أمريكى عن ضرورة ربط المساعدة الأمريكية مع ما عبّر عنه بضرورة « إحتواء القوى الراديكالية الاسلامية» وذلك فى حديثه الى الحكومة السودانية.

ولقد مضت هذه المحاولات الأمريكية باتجاه تغيير نميرى ــ الذى استنفذ مرات الرسوب ــ **واتخذت قناعاً مصرياً حيث قام النظام المصرى** بسحب كتيبة الدفاع الجوى المتواجدة حول **الخرطوم، وقوات أخرى، وتوالت فيما بعد تصريحات النظام المصرى عن أنَّ مصر لن تقف ضدَّ التغيير فى السودان، وكان ذلك فى شهر آذار (مارس) الماضى. و يبدو أنَّ هذه الرغبة الأمريكية فى تغيير نميرى** ترجع الى حرص أمريكا على إعادة تشكيل الوضع فى السودان بما يضمن تأمين واستمرار المصالح الاستراتيجية الأمريكية فى تلك المنطقة. بل إنَّ بعض المصادر قد صرحت فى ذلك الوقت بأسماء الشخصيات المرشحة لتشكيل النظام الجديد الموالى لأمريكا، **وبرزت فى مرحلة معينة أسماء لقيادة جبهة جديدة تشكلت فى هذا الاتجاه منها وزير** الخارجية السوداني الأسبق منصور خالد، ورجل الأعمال خليل عثمان، وشخصية أكاديمية **أخرى هى محمد** عمر بشير، وقد تحرك أولئك فى الفترة الأخيرة و بشكل مكثف ليمارسوا ضغوطاً على الجهات الغربية والحكومات العربية لاقناعها بوجوب تعجيل عملية الأستبدال. وقد قامت مجموعة من حلفاء منصور خالد ــ المدعوم أمريكياً والذى يتخذ

لندن مقراً له ـــ وهم بشير عبادى و بدر الدين سليمان و بونا ملوال، قاموا بزيارات لكل من الكويت وأثيوبيا وعواصم أوروبية أخرى فى محاولة لتعبئة المعارضة وتوحيدها من ورائهم، كما إلتقى أولئك وبشكل دوري مع أحد وكلاء المخابرات الأمريكية الذى يعمل كمستشار فى قصر الشعب فى الخرطوم حيث ناقشوا عملية إجهاض التجربة الاسلامية التى بدأت فى السودان منذ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٣ **وقد كانت نتيجة ذلك الاتفاق تؤكد على أهمية سحق القيادات الاسلامية لأجل تحقيق ذلك الأمر.**

وعلى الجانب العسكري، فإنَّ بعض الأسماء والرموز قد **جرى دفعها وتصعيدها** لتشارك فى العملية السياسيه الدائرة، من هؤلاء كان الضابط أبو القاسم محمد إبراهيم الذى شغل فى الماضى منصب نائب رئيس الجمهورية ثمَّ جرى إستبعاده ضمن تحولات نظام نميري المتعددة والتى اقتضت التخلص من العناصر (اليسارية والقومية)، ثمَّ جرى مؤخراً استدعاؤه للمشاركة فى النظام كأحد رموز مايو القدامى، وتمَّ تسليمه وزارة الشباب ومنصب آخر فى الاتحاد الاشتراكى كعنصر مناوئ لتجربة التحول الاسلامي ورموزها. أما العسكري الذى كان أوفر حظاً فى عملية الاستبدال المزمعة فهو نائب الرئيس السوداني اللواء عمر الطيب والمسؤول عن أجهزة الأمن القومي والتى تضخمت بشكل هائل في السنوات الأخيرة حتى وصلت الى حوالي أربعين ألف رجل و يستحوذون على **أكثر من أربعين مليوناً من الجنيهات شهرياً كنفقات لجهازهم، كما أنهم تسببوا في أزمات تموينية كأزمة** المحروقات والوقود. واللواء عمر الطيب لا تنقصه الدوافع للمشاركة في إجهاض عملية التحول الاسلامى حيث أنه على عداء مع رموزها الذين قام أحدهم ـــ وهو قاضٍ بملاحقة شقيق عمر الطيب قضائياً بسبب تورطه فى عمليات الفساد الاداري والمالى. وعلى العموم كان عمر الطيب حاضراً فى معظم محاكمات الفساد إمَّا كمتورط أو محاولاً انقاذ بعض المتورطين. و يذكر رجال الجيش الذين قبضوا عليه صبيحة الانقلاب الأخير أنهم عثروا معه فى مزرعته على مليوني دولار نقداً كان قد سلبها من البنك المركزي للدولة.

على الجانب المصري، قامت القاهرةباستضافة بعض المعارضين المرشحين للخلافة، وأجرت معهم **حواراً** حول **الأوضاع** المتأزمة فى السودان. وترجح مصادر الأنباء أنَّ ذلك الحوار **قد تمَّ مع الصادق المهدى أحد زعماء الأنصار ورئيس الوزراء الأسبق والمفضل بريطانياً، مع مجموعة منصور خالد المفضلة أمريكياً.**

غير أنَّ الأحداث قد تدافعت بسرعة شديدة نحو نهايتها المنطقية بعد زيارة جورج بوش (نائب الرئيس الأمريكي) للسودان والتى نتج عنها بعض الاجراءات الخطيرة التى أقدم عليها النظام كثمن لانقاذ رأسه وكان منها عزل رموز التحول الاسلامي واعتقالهم والبطش بالحركة الاسلامية فى السودان، كما كان منها أيضا

الرضوخ لتعليمات البنك الدولى التجويعية، وأيضاً البدء بتفريغ عملية تطبيق الشريعة الاسلامية وضربها. وقد تخللت زيارة بوش أيضاً لقاءات مع شخصيات المعارضة حيث تمَّ لقاء بين بوش وجوزيف لاغو (نائب نميرى لشئون الجنوب)، وقد قدَّم لاغو مذكرة لبوش إعتبرت سياسات نميرى في الجنوب مسببة للانفصال تدريجيا، وتحدثت مذكرة لاغو عن إهدار النظام للعدالة الاجتماعية والسياسة فى جنوب السودان، كما تضمنت المذكرة دفاعاً عن قائد التمرد فى الجنوب جون غارنغ (قرنق) الذى نفى عنه لاغو تهمة الشيوعية وأثبت أنه قد أرسله سابقا فى دورة تدريبية الى الولايات المتحدة. كما قام نائب وزير الخارجية الأمريكى للشئون الأفريقيه بزيارة الصادق المهدى فى منزله واستمع طويلا لوجهة نظره وملاحظاته حول أزمة نظام نميري والبدائل المطروحة.

بعد زيارة بوش والنتائج المترتبة عليها، قام عمر الطيب بزيارة الى الولايات المتحدة حيث بدا لواشنطن أنَّ الظرف قد نضج لبداية عملية الاستبدال وأنَّ ليمونة نميرى التى عصروها لسنوات طويلة قد استنفذت وحان وقت القائها فى **القمامة** . ثمَّ جاءت زيارة نميرى لواشنطن الذى ظنَّ أيضاً أنَّ الوقت ملائم ليقبض المكافأة على خدماته المتعددة لواشنطن والتى قررت للسودان (٦٧) مليون دولار كمساعدات، غير أنَّ النشاط المحموم الذى غرق فيه نائب نميرى فى الخرطوم اللواء عمر الطيب لل[illegible]د لانقلابه العسكرى ضدَّ نميرى وبمباركة واشنطن لم يخف على عملاء نميرى فى الخرطوم والذين سارعوا بالاتصال به فى واشنطن حيث كلفهم بالاعداد لانقلاب مضاد، وبين الانقلاب والانقلاب المضاد تصاعدت غضبة الشعب السوداني ضد نظام نميرى وأسياده الأمريكان فى صورة مظاهرات شعبية هائلة استمرت عشرة أيام وصعَّدها أكثر الاضراب العام الذى نفذته بجدارة كافة النقابات والتجمعات المهنية التى جعلت من المحتم أن يتحرك الجيش ولكن انحيازاً للشعب السوداني ولأصالته وحقوقه المهدورة، الأمر الذى كان يعنى بكل تأكيد سقوط الخيار الأمريكي فى الشارع السوداني أولاً حيث ندد الشعب بالامبريالية الأمريكية وسياساتها وبنكها الدولى، وثانياً على مستوى الجيش الذى أسقط نظام نميرى واعتقل جميع رموزه الفاسدين كما إعتقل أيضاً رموز البديل الأمريكى الذين أرادوا أن يُدخلوا هذا الوطن فى ليلٍ آخر طويل من حكم العسكر المرتبطين **بالاستكبار العالمى وإذا كانت اثنتان وعشرون** جولة ومحاولة انقلابية لم تصرع هذا الباطل النميرى فى ستة عشر عاما، فإنَّ الجولة الثالثة والعشرون قد نجحت و بجدارة لأنها تضمخت بدماء الشهداء وعرق المناضلين ومعاناتهم.

م. ز

السودان وتحديات المستقبل

تعتبر هزيمة الدولة المهدية (الاسلامية) على يد الانجليز والادارة الخديوية في أواخر القرن التاسع عشر، تعتبر بداية التاريخ السياسي الحديث للسودان بحدوده الحالية وأقاليمه ومؤسساته. ففي عهد الادارة البريطانية للسودان، تكونت المؤسسات السياسية السودانية الحديثة، وكانت الظروف الموضوعية التي أحاطت بهذه النشأة تتلخص في الخلفيات الثقافية والفكرية التي صاحبت نشأة تلك المؤسسات. وقد تنوعت تلك الخلفيات الثقافية ما بين الموروث (القديم) الذي تمثل في طائفة في طائفة الأنصار التي قادت الدعوة المهدية ووحدت معظم أجزاء السودان، وقد تمثلت طائفة الأنصار في حزبها التقليدي الهام وهو (حزب الأمة) الذي نشأ نشأة مغايرة لأصوله المهدية على مستوى التطلعات والأماني والأهداف وكذلك الارتباطات والتي كثيراً ما كانت بريطانية أو إقليمية (غير وحدوية). أما الوجه الآخر للموروث فقد كانت طائفة الختمية والتي نشأت في شمال السودان وامتدت افريقياً إلى كسلا وسواكن وغيرها وقد غلبت عليها صوفية مؤسسها محمد عثمان الميرغني (الميرغني الكبير) رحمه الله، والذي كان تلميذاً للسيد الادريسي المعلم الديني الكبير في مكة المكرمة وهو الذي أرسل تلميذه (الميرغني) إلى أفريقيا ليحمل دعوته إليها في عام ١٨٣٥، وهذه الخصائص اللاصقة بالختمية أو«الميرغنية» تغاير بوضوح خصائص الأنصار الذي غلبت عليهم سلفية الامام محمد أحمد المهدي رحمه الله، والتي لا يستبعد أن يكون حمله لها (للسلفية) تأثراً واضحاً بالدعوة السلفية الوهابية التي سبقت في نجد. وقد رأى الختمية في الدولة العثمانية وتوابعها في مصر (محمد على باشا) الذين قاموا بقمع الوهابيين في نجد، (قوة إسلامية مركزية)، توافقت واتجاهاتهم ضد خطر السلفية عليهم، كما رأى الختمية في الأتراك ومحمد على (حماة شرعيين للكيان الاسلامي)، وقد كان الميرعني الكبير شاباً يافعاً عندما اجتاحت قوات الوهابيين (الطائف) في عام ١٨٠٥، وما رافق ذلك من (أشياء عديدة) تركت ذكرياتها السيئة لدى الميرغني وطائفته فيما بعد. وربما كانت هذه المشاعر والمواقف الأخيرة هي الأسباب الحقيقية لذلك الصراع والتنافس التاريخي الطويل الذي حمله الختمية ضدالأنصار الذين نشأوا بعدهم وحيث ظل الختمية بموقفهم المعارض دائماً لحركة المهدي وتجاهلوا كذلك

كافة رسائله إليهم و يده الممدودة للتعاون، كما تفسر تلك الخلفيات لنا أيضاً ذلك الالتصاق الدائم للختمية بمصر وتطلعهم إليها وولائهم لها. غير أن طائفة الختمية التي لم تتميز بالتماسك القبلي والعشائري الشديد كما هو الحال في طائفة الأنصار لم تستطع أن تتمثل حزبها السياسي على صورة عائلية صارمة كما فعلت عائلة المهدي في هيمنتها على حزب الأمة الذي هو في الحقيقة حزب العائلة المرتكزة على تراثها وزعامتها الموروثة لقبائل وعشائر غرب السودان الشديدة الالتزام والولاء. لهذا كان لابد لطائفة الختمية أن تتسع لتضم الى جانب (الموروث) الديني والصوفي، بعض (الحديث) الذي طرأ على الحياة السودانية في عهد الادارة البريطانية للبلاد. ويمكن تعريف هذا(الحديث) الذي طرأ على الحياة السودانية بأنه مجموع الشرائح الاجتماعية التي نشأت في ظل (الحداثة) التي رافقت عهد الادارة البريطانية إبتداءاً من مجموعات المثقفين ذات التعليم المدني (البريطاني) والتي عبرت عن نفسها في فترات ١٩٢٤، ١٩٣٤، ١٩٤٤، وهي على التوالي فترات صحافة ونوادي وتجمعات اتخذت أسماء اللواء الأبيض — (النهضة، الفجر) — (مؤتمر الخريجين)، وقد حملت هذه الموجات أفكاراً وطنية ديمقراطية (ليبرالية)، وتضم هذه الشرائح الجديدة انتهاءاً طبقة الصناع والحرفيين والعمال المهرة التي استحدثت لتغطي احتياجات المرحلة البريطانية.

ولذا فقد جاء «حزب الأشقاء» ممثلاً لهذه الطائفة (الختمية) باعتبار وجوده البشرى الممتد داخلها وليس باعتباره المؤسسة السياسية لزعامة الطائفة المتمثلة بأسرة الميرغني. ثم دخل حزب الأشقاء في طورسياسي جديد حيث أصبح أسمه المعروف الى اليوم الحزب الوطني الاتحادي والذي حاول لبعض الوقت أن يتميز عن زعامة الطائفة وأن يستحوذ على دورها القيادي طارحاً شعاره الشهير ضد قيادة الطائفة الختمية (مصرع القداسة على أعتاب السياسة) الأمر الذي جعل العلاقة بين حزب الوطني الاتحادي و بين زعامة الختمية تمر بمنعطفات صراع وتنافس عديدة. منذ أواخر الأربعينات وخلال الخمسينات وحتى قيام انقلاب مايو في الستينات، احتكرت الحياة السياسية في السودان مجموعة الأحزاب التقليدية وهي حزب الأمة (الأنصار) الحزب الوطني الاتحادي (الختمية)، حزب الشعب الديمقراطي وهو الحزب الذي أفرزته زعامة الختمية في مواجهتها لزعامة الوطني الاتحادي قبل توحدهما في الستينات باسم الحزب الاتحادي الديمقراطي. و يضاف الى هذه الأحزاب أحزاب أخرى لعبت أدواراً أقل في الحياة السياسية والحكم منها أحزاب الجنوب السوداني، الأخوان المسلمون الذين عبروا عن أنفسهم بفعالية من خلال جبهة الدستور الاسلامي (١٩٥٤)، وكذلك جبهة الميثاق الاسلامي (١٩٦٥)، الحزب الشيوعي السوداني الذي عبر عن نفسه من خلال أنشطته

النقابية، ومن خلال حزب الجبهة المعادية للاستعمار وكذلك من خلال تحالفاته مع أحزاب كبرى كحزب الأمة ضد الحزب الوطني الاتحادي في الخمسينات ثم أخيراً من خلال تحالفه مع جعفر نميري والعسكريين القوميين ضد الاحزاب جميعاً وذلك في انقلاب مايو ١٩٦٩ ، كما دخلت إلى الحياة السياسية السودانية أحزاب أخرى صغيرة من أمثال حزب البعث العربي الاشتراكي ومنظمات الاشتراكيين العرب وغيرها من التنظيمات التي ولدت في أحضان التيارات القومية والناصرية.

فترات الانقطاع في التجربة الحزبية

كان الانقطاع الاول في وتيرة الحياة السياسية الحزبية السودانية قد حدث بانقلاب الجنرال إبراهيم عبود والذى جرى في عام ١٩٥٨ بتعاون مسبق مع حكومة حزب الأمة التي كان يرأسها عبدالله خليل واستمر حتى عام ١٩٦٤ حيث سقط على يد ثورة أكتوبر الشعبية التي مثلت كفاح جماهير الشعب السوداني لاسقاط الدكتاتورية العسكرية وقطفت ثمارها الأحزاب السياسية التي سارعت باستقبال ملكة بريطانيا في السودان بعد عودة الحياة النيابية تحت زعامة حزبي الأمة والوطني الاتحادي.

أما الانقطاع الثاني والأهم فهو ممتد من انقلاب مايو ١٩٦٩ وحتى (ثورة رجب) أبريل ١٩٨٥، ولقد حدثت مجموعة هامة من التحولات والتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية في السودان. ويمكن القول أن قطاع المتعلمين والجامعيين قد إتسع و بشكل واضح في الستة عشر عاماً الأخيرة، وربما قد حدث ذلك بحكم التغيرات الكمية العامة في العالم الثالث، الأمر الذى يعني نشوء شريحة إجتماعية عريضة خارج نطاق الطائفتين (الأنصار) و (الختمية) وكذلك خارج نطاق أحزابهما التقليدية. كما أن طائفة هامة كالأنصار قد تعرضت للتآكل من قبل نظام مايو وذلك عسكرياً من خلال قمع النظام للانصار في جزيرة (آبا) وقصفهم بالطائرات وقتل الامام الهادى المهدى زعيم الطائفة وجمع من أنصاره، وسياسياً من خلال تطويق الطائفة وتفتيتها عن طريق إجتذاب بعض زعمائها الى داخل النظام كالصادق المهدى في بدية المصالحة الوطنية ١٩٧٩ ، ثم عمه أحمد المهدى فيما بعد، أما على المستوى الاجتماعي الاقتصادى فقد تعرضت أملاك وإقطاعيات زعماء الطائفة للمصادرة والتأميم وإعادة توزيعها على الافراد في بداية عهد مايو (الاشتراكي). كما أن أحزاباً وقوى سياسية أخرى هامة قد تعرضت للانكماش والتطويق أو القمع والتصفية أحياناً. يضاف الى هذا نشوء ظواهر فكرية وسياسية جديدة كظاهرة الصحوة الاسلامية التي إمتدت في الجماهير السودانية و بقوة في السنوات الأخيرة كما إمتدت في غيرها من الشعوب، وفرضت على النظام الدخول في تجربة تطبيق الشريعة الاسلامية في محاولة مستميتة منه لامتصاص

المتغيرات وإستيعابها لصالحه، غير أن السحر قد إنقلب على الساحر وأفلتت الأمور بالرغم من ذلك من يد النظام حتى وصلت الى ثورة رجب الشعبية الأخيرة، وفي مقابل هذه الظاهرة الاسلامية الممتدة، اضمحلت ظواهر فكرية وسياسية أخرى كالليبرالية وتيارات القومية واليسار.

ويمكن القول كذلك أن إستفحال الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قد أدى الى قيام أوضاع معينة وظروف موضوعية جديدة تقتضي تغيير الخارطة السياسية والفكرية للشارع السوداني، كما تستدعى مداخل ومناهج جديدة لحلها قد لا تتوفر بالضرورة لدى الأحزاب التقليدية التي سيطرت على الحياة السياسية في التجارب الماضية.

الصورة السياسية في السودان اليوم

(١) حزب الأمة: منذ صعود الصادق المهدى الى رئاسة الوزراء في عام ١٩٦٥ شهد حزب الأمة إنقسامه الى جناحين، الأول جناح الامام الهادى المهدى زعيم طائفة الانصار، الثاني جناح ابن أخيه الشاب الصادق بن الصديق المهدى، استمر الانقسام حتى عام ١٩٦٩ حيث قامت السعودية بمساعيها بإعادة الوحدة بين الجناحين. أما بعد استشهاد زعيم الأنصار الامام الهادى المهدى على يد نظام مايو سنة ١٩٧٠ وابان تحالفه مع الشيوعيين فقد انقسم حزب الأمة الى ثلاثة أقسام، الأول برئاسة الصادق المهدى، الثاني برئاسة عمه أحمد المهدى، الثالث برئاسة ولي الدين بن الامام الهادى المهدى وهو المطالب بزعامة الطائفة.

بعد ثورة رجب الشعبية (أبريل ١٩٨٥) يتوقع أن يبرز حزب الأمة الى العمل السياسى على جناحين، الأول باسم الجبهة الشعبية السودانية بزعامة الصادق المهدى وعمه أحمد المهدى بعد أن تم التصالح بينهما، الثاني باسم حزب الأمة و بزعامة ولي الدين الهادى المهدى.

و يعتبر الصادق المهدى من أوفر المرشحين حظاً في رئاسة الحكومة النيابية القادمة بعد انتهاء فترة الحكم العسكرى الانتقالى فى أبريل ١٩٨٦، حيث ترى فيه الدوائر العربية والغربية رجلاً معتدلاً يمكن أن يحل مشكلة الجنوب وأن يخفف من حدة التشريعات التي أعلنها نميرى في أيلول (سبتمبر)١٩٨٣.

و بالرغم من بدايته الليبرالية، فإن الصادق المهدى قد انتقل في السنوات الأخيرة الى الاسلام على مستوى الأدبيات والخطاب السياسى، وقد عارض تجربة نميرى لتطبيق الشريعة الاسلامية من زاوية عدم توافر فرص العدل في الرزق وعدم توافر الحريات والأوضاع الصحية اللازمة لتطبيق الشريعة الأمر الذى أدى الى سجنه في ذلك الوقت.

غير أن الصادق المهدى يعانى من عدم وجود التنظيم القوي داخل حزبه، بل إن صورته السياسية الشخصية أكبر بكثير من إمكانيات

حزبه التعبوية والسياسية والفكرية خصوصاً بين طبقة المثقفين التى يفتقر إليها حزب الأمة، الأمر الذى يضطره الى تحالفات مع اليسار أحياناً للوصول الى منابر المتعلمين الأمر الذى يفقده مصداقيته لدى المثقفين المسلمين والمتواجدين غالباً لدى منافسيه التقليديين من الاخوان المسلمين. لكن الأمر المشكوك فيه كثيراً هو أن يتمكن صادق المهدى من تشكيل أغلبية برلمانية مستقبلاً بدون التحالف مع قوة رئيسية من قوى السودان السياسية.

(٢) الحزب الاتحادى الديمقراطي:

بعد وفاة الزعامات الرئيسية لهذا الحزب كالرئيس إسماعيل الازهرى ثم الشريف حسين الهندى وأخيراً أبو حسبو (توفي قبل أسبوع واحد من ثورة رجب) فقد الحزب قادته الرئيسيين والذين كانوا ضمانة تماسكه واستمراره الفاعل في الحياة السياسية السودانية، كما أن وحدته تعرضت للتفكك والانقسام. وقد ظل الحزب ممثلاً في الخارج بزعامة أحمد زين العابدين الذى خلف الشريف الهندى، وتربطه روابط قوية مع نظام بغداد، ويعبر عن نفسه من خلال مجلة «الدستور» الأسبوعية والمدعومة عراقياً. في داخل السودان أعلنت مجموعة من مجموعات الحزب عن نفسها باسم الحزب الوطنى الاتحادى وهى ذات توجهات يسارية ماركسية، بينما يحتفظ أعضاء الحزب القدامى باسم الاتحادى الديمقرطي. لم تسفر هذه التغيرات العديدة الآن عن صورة نهائية لمستقبل الحزب غير أنه من المتوقع أن تبرز إضافة الى المجموعات الأولى اليسارية مجموعة ثانية صغيرة يمكن أن تتحالف مع حزب البعث العربي الاشتراكي (تابع للعراق) ضمن خط قومي عروبي، وكذلك يتوقع ظهور جناح ثالث أكبر ذو توجه اسلامى عام. على كل الأحوال، وبالرغم من أن مظاهر الضعف والاضمحلال واضحة على الحزب الاتحادى الديمقراطى مقارنة بأوضاعه فى الخمسينات والستينات إلا أنه غالباً سينال قسطاً واضحاً من التمثيل النيابى في التجربة البرلمانية القادمة.

(٣) الأخوان المسلمون:

تتمثل الكتلة الرئيسية للاخوان المسلمين الآن في الجبهة الاسلامية القومية وهى تجمُع عريض للقوى والهيئات والنقابات والجماعات الاسلامية بزعامة الدكتور حسن الترابي وتضم حوالى (٤٨) هيئة ونقابة في مقابل حوالى (٧٠) هيئة ونقابة تضمها الجبهة الوطنية التى شكلها حزب الأمة وضمت نقابات وهيئات مثل الحزب الشيوعي وحزب البعث وأحزاب ناصرية وقومية كما ضمت تنظيم «الاخوان المسلمون ـ التنظيم العالمى» وهى أقلية إنشقت عن الجسم الأصلى للجماعة في السبعينات بسبب الخلاف مع قيادة الاخوان المسلمين (حسن الترابي) حول قضية الدخول في التنظيم العالمى للاخوان المسلمين ومبايعته وتقف هذه الأقلية على يمين الجماعة، بينما يقف على يسارها الحزب الاشتراكى الاسلامي وهي مجموعة صغيرة خرجت من الاخوان

المسلمين عام ١٩٥٤ بزعامة نقيب المحامين ميرغني النصري. وعلى الساحة الاسلامية أيضاً ظهر الحزب الوطنى الاسلامى وهو تجمع جديد لم تتضح توجهاته بعد. ولقد حققت الكتلة الاسلامية انتشاراً واسعاً في السنوات السبعة الأخيرة حيث استفادت من مجموع الظروف المتواجدة إضافة الى وعيها بطبيعة المرحلة الاسلامية والتى تجسدت في الصحوة الاسلامية عبر الوطن الاسلامي ككل، فامتدتالحركة الاسلامية في السودان لتصل الى معظم الجامعيين والمثقفين والتكنوقراط وتواجدت في نقابات المهنيين والعمال واتحادات الطلاب، وحاولت بدأب بناء مؤسسات اقتصادية اسلامية كنموذج للتغيير المرتقب، كما وعت دورها الافريقى الاسلامى عبر انشائها لمنظمة الدعوة الاسلامية في أفريقيا. لقد أدى هذا كله أن تتقدم الحركة الاسلامية على مستوى الفعالية السياسية والجماهيرية لتحتل موقعها كأحد أهم القوى السياسية في السودان والتى ستقرر مستقبله وطريقه القادم حيث لا يمكن تجاهل وزنها في تلك الساحة والانجازات والبناءات التى حققتها في السنوات الأخيرة سواءاً على مستوى تعبئة الشارع السوداني للضغط على النظام مطالبين بتطبيق الشريعة أو من حيث قدرتهم على تعبئة الجماهير وتبنيها لطريق الاسلام والأصالة الأمر الذى أثار حقد النظام وتشككه خصوصاً بعد أن سيرت الحركة الاسلامية تظاهرة سبتمبر ١٩٨٤ التى ضمت حوالى مليون مواطن مطالبين بالسير على طريق الاسلام والاستمرار فيه وقد كانت هذه المناسبة بداية التوترات العنيفه الاخيرة مع النظام والتى تصاعدت ذروتها في مارس ٨٥، ثم كانت مشاركة الحركة الاسلامية الضخمة والواضحة في ثورة رجب التى اسقطت نظام مايو الى الأبد.

(٤) الحزب الشيوعي:

تعرض الحزب الشيوعي الى ضربة قاصمة على يد نظام جعفر نميرى بعد الانقلاب الذى دبره الحزب ضد النميرى في ١٩٧١. وقد تعرض الكثير من قيادات الحزب وكوادره الفاعلة الى التصفيات والقمع. وقد انكمش نشاط الحزب تماماً طوال عهد نميري وخسر مواقعه الطلابية والنقابية تماماً. بعد ثورة رجب أعاد الحزب تشكيل صفوفه استعداداً لخوض تجربة جديدة، ويطالب الحزب وكذلك بعض القوى الصغيرة الأخرى بتمديد الفترة الانتقالية لكي تتاح لهم فرصة بناء أوضاعهم.

(٥) هناك بعض القوى والأحزاب الثانوية والتى تمثل لافتات أكثر مماتمثل تنظيمات حقيقية منها حزب البعث (الموالى للعراق)، الحزب الناصرى، مجموعات أخرى قومية وليبرالية. ولا يتوقع لهذه القوى أن تمثل (كأحزاب أى قوى حقيقية)، الكنها يمكن أن تتكتل ضمن تجمع للمستقلين في محاولة لخلق قوة إنتخابية تمكنهم من دخول الحياة السياسية وممارسة بعض التأثير.

خاتمة:

بصورة عامة يمكن القول أنه لن تتمكن قوة ليبرالية علمانية من تحقيق أى تراجع على مستوى السير في طريق الاسلام أو التراجع عن الالتزام بتطبيق الشريعة الاسلامية، بل يمكن القول أيضاً أن معظم القوى الرئيسية ستتنافس فيما بينها على أرضية الناخب الاسلامي الذى سيتعين عليه الفصل بينها. و يقوى هذا الاعتقاد ما عبَّرت عنه الحركة الاسلامية عن إستعدادها لحمل السلاح دفاعاً عن تطبيق الشريعة الاسلامية مهما كانت دعاوى المعارضين والذين يحاولون نسبتها الى عهد مايو.

تبقى تلك الأزمات العديدة والمستفحلة في البلاد إقتصادياً وإجتماعياً ومشكلة الجنوب والتنمية والتصدى للمجاعة والجفاف والتى تحتاج كلها الى سواعد أبناى السودان ووعيهم وتفانيهم وإبداعهم المتوقع. و يبقى الخطر الرئيسى قادماً من الخارج حيث تتربص الكثير من القوى الاقليمية والدولية بالسودان محاولين فرض بدائلهم وحلولهم غير أنَّ ثقتنا في شعب السودان الذى فجّر ثورة رجب وأسقط نظام مايو وهو قادر بالتأكيد على إسقاط كل المؤامرات القادمة.

محمود زين الدين

الجبهة الاسلامية القومية في السودان

صرح **للطليعة** مصدر مسؤول في المكتب التنفيذى للجبهة الاسلامية القومية في السودان بأن المؤتمر التأسيسي للجبهة قد عقد بالخرطوم في الفترة من ١٩ ــ ٢١شعبان الماضى وقد حضر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر حوالى ٣٠٠٠ عضو وضيف وعدد من السفراء المعتمدين في السودان واقتصرت بقية الجلسات على الاعضاء اللذين بلغ عددهم ألفان، ويمثلون كل قطاعات الشعب السوداني وأقاليم السودان المختلفة وقد شارك وفد من جنوب السودان بمائتى عضو وترأس الجلسة الافتتاحية للمؤتمر أحد زعماء المسلمين السودانيين الجنوبيين وأعلنت هيئة مسلمى جنوب السودان إنضمامها للجبهة فضلا عن كل الطرق الصوفية والجماعات الدينية كما إنضمت إليها بعض الشخصيات المؤثرة في أقاليم السودان ذات الانتماء السابق لطائفتى الأنصار والختمية.

وقد قدمت في المؤتمر أوراق عن برنامج الجبهة السياسية وورقة حول أطروحاتها في العلاقات الخارجية التى أدانت فيها إتفاقية كامب ديفيد وأعلنت فيها ضرورة إتخاذ قضية فلسطين كقضية مركزية وحضارية لتوحيد المسلمين وحشد طاقاتهم لاحداث يقظة ونهضة حضارية إسلامية جديدة كما رفضت الحلول الاستسلامية لاذابة قضية فلسطين.

وقدمت في المؤتمر ورقة حول الحلول الاسلامية لمشكلات الاقتصاد السوداني كما ناقش المؤتمر ورقة حول الهيكل التنظيمي للجبهة وأجاز دستورها الذى نص في خصائصها على أنها جبهة إسلامية تقوم على أساس الايمان الديني الذى يوحد حركة الانسان في الحياة و يرد الأمر كله الى الله فهي لا تصدر عن حمية قوم ولا مصلحة طبقة ولا عصبية تراث ولا طاغوت قوة مادية كما أنها لا تصدر عن شرع من شهوات الدنيا وزينتها أو من ضلالات أهواء البشر، إنما هي استهداء بالوحى واعتبار بسنن الله في الطبيعة والمجتمع وخطاب للانسان حيث كان بدواعى الايمان ليعبد الله وحده و يرجو لقاء يوم الدين.

كما نصت خصائصها على أنها «جبهة شورية جماعية» تدعو كل عضو فيها أن يكسب كسبه من العلم والرأي و يؤدى دوره في النصح والمشاركة وتتسع لتباين المذاهب الفقهية والمشارب النفسية وألوان التعبد ودرجاته ولا تضيق بالرأى والاجتهاد الذى يثرى حركة الاسلام ولا يبدد طاقاتها ولا تحتكر الامر لفرد أو فئة دون الجمهور أما بالنسبة لأهدافها السياسية والدستورية فهى كما يلى :

١ ــ تهدف الجبهة الى سيادة الاسلام عقيدة وشريعة، عقيدة تجعل السياسة عبادة لله فتحررها بالاخلاص من الصراع والطغيان وتطهرها

بالمسؤولية من الاخفاق والفساد وشريعة ومنهاجاً لتربية الفرد وتنظيم المجتمع وتأسيس الدولة.

٢ ــ تعمل الجبهة على الانتقال بالمجتمع حتى يستكمل كيانه السياسي الشرعي باطراح النظم والقوانين المخالفة لنصوص الشريعة وروحها وتطبق تعاليمها المعطلة حتى يعلوحكم الله في منهج الأحكام و يصبح الفقه الاسلامي أم الاصول القانونية.

٣ ــ تسعى الجبهة لاقامة الحكم الاسلامي الهادف لرعاية مقاصد الدين وكفاية مصالح الناس والمؤسس على الشورى والمساواة وحق الجمهور في تقرير الشئون العامة وفي اخيبار ممثلين من أهل العمل والعقد والقيادة والتنفيذ في ممارسة النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى تتوالى الأمر بحرية وفعالية وإخلاص، كما نصت أهدافها السياسية على ألا تتركز السلطات السياسية في أيدى قلة وذلك منعاً للاستبداد ونشداناً للاستقامة وأن تتوخى أهلية أصحاب السلطة أمانة وكفاية وقضائية وذلك درءاً للقصور والفساد والبغى كما يتأكد واجبهم في القيام بالأمر العام باحسان وإخلاص وحقهم في الطاعة ما التزموا حدود المشروعية.

أخيراً كما نصت إحدى مواد الدستور على أن

:

تسعى الجبهة لاحداث نهضة علمية شاملة تبدل واقع التخلف والجاهلية تبعاً لتراث الاسلام المتجدد وتكيفاً لعلوم الطبيعة والاجتماع بالمنظور الدينى الراشد وإشاعة لروح علمية خلقية تدعو لحب المعرفة والتدبر ومنهجية الفكر واستقلاله، والصدع بالحق والعدل وتسعى لدفع حركة التأليف والترجمة والبحث والنشر وتيسير الاطلاع والمعرفة بكل الوسائل المتاحة ولتشجيع التبادل الثقافي تعاوناً وحواراً و بلاغاً الى الانسانية.

كما نصت إحدى مواد الدستور على أن :

تعمل الجبهة على تشجيع الآداب والفنون وتفجير الطاقات والمواهب في مجالات الابتكار والابداع المعنوى وتوحيد الأدب والفن حتى يتصل كلاهما بمقاصد الحياة المتدينة و يلتزم بمناهجها فيؤدى دوره التربوى والاجتماعى والانسانى.

كما صرح نفس المصدر أن ميلاد الجبهة قد أعلن في مهرجان خطابى في الساعة التاسعة من صباح السبت الحادى والعشرين من شعبان في تجمع هائل شهده أكثر من مائتى ألف شخص في ميدان عام في وسط مدينة الخرطوم، وقد انتخب مؤتمر الجبهة مجلساً للشورى ــ المجلس يتكون من ٣٠٠ عضو ــ وقد اجتمع مجلس الشورى في أمسية الثلاثاء ٢٤ من شعبان حيث انتخب القيادة التنفيذية للجبهة المكونة من ثلاث شعب :

١ ــ المكتب السياسي

٢ ــ المكتب الاداري

٣ ــ مكتب الدعوة

وستبدأ الجبهة في تأسيس فروعها في أقاليم السودان المختلفة عبر مؤتمرات شعبية يشهدها قادة الجبهة.

متغيرات جديدة على الساحة اللبنانية

ثمة أربع نقاط صراع تحدد حالة الوضع في لبنان الآن.

أولاً : الصراع الذى تخوضه القوى المجاهدة الاسلامية ضد الاحتلال الاسرائيلي في جنوب لبنان، وهو الصراع الذى أجج المقاومة البطولية وأسفر عن إنتصار كبير باجبار قوات الاحتلال على الانسحاب الجزئي بلا قيد أو شرط.وقد أدت هذه السمة الى اشعال جبهة الجنوب وجعلها حلقة مركزية في الجهاد الاسلامي على مستوى لبنان كله. كما أنها حولت مكتسبات العدو الصهيوني من غزو لبنان الى خسائر فادحة أصبح الكثيرين من المحللين الاسرائيليين يخشون من تعميمها في الضفة الغربية وقطاع غزة. أى يخشون تحول الجنوب مرة أخرى الى قاعدة محررة للمقاومة ضد الكيان الاسرائيلي. ولكن ضمن توجه اسلامي في هذه المرة.

ان معركة المواجهة المسلحة والشعبية ضد الاحتلال، والتى كانت القوى الاسلامية طليعتها ووقودها الأساسي جرّت القوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية لتشارك في هذه المقاومة، وفرضت حتى على رئيس الجمهورية أن يسرع لزيارة صيدا بعد تحريرها ولم يبخل بمديح المقاومة.

يجب أن يلاحظ أن الحرب ضد العدو في الجنوب يمكن أن تحقق نجاحات باهرة، فالعدو يعاني من إنقسام داخلي حول البقاء في جنوب لبنان، كما يعاني من عزلة دولية خانقة فأوروبا لا تقر بقاءه في الجنوب، وأمريكا لا تستطيع أن تغطي بقاءه بالرغم من أنها حاولت في اتفاقية ١٧ أيار تقديم المكتسبات الكبرى له مقابل الانسحاب. أما من جهة أخرى فللاتحاد السوفيتي موقف حازم ضد بقائه في لبنان وقد ضمن عدم التعرض الاسرائيلي لسورية بعد أن وضع فيها

صواريخ سام ٥ ،وهذا سمح لسورية أن تتحرك دون خوف من ضربة إسرائيلية، وإن كانت سورية قد أمنت نفسها من تلك الضربة بعد أن أخرجت م.ت.ف. من البقاع وطرابلس، ثم أخرجت لبنان من اتفاقية ١٧ أيار، خصوصاً إبعاد الكتائب والموارنة عن التحالف الاسرائيلي. مما نزع عن الاسرائيليين حتى الغطاء الكتائبي والماروني. وأخيراً هناك الحوار المتقطع مع الولايات المتحدة بهدف انتزاع قبول أمريكا بدورها باعتبارها القوة رقم (١) في لبنان.

إن مجموعة هذه العوامل حين تتوج بمقاومة اسلامية شاملة وحاسمة ومدعومة من الثورة الاسلامية دعماً كبيراً على أرض الجنوب تجعل الهزيمة الاسرائيلية شبه مؤكدة. إذا ما استمرت هذه المقاومة ضمن وتيرتها السابقة فسوف يتحقق على أرض لبنان ما حلمت بتحقيقه الامة العربية والاسلامية منذ عشرات السنين، ولهذا فان المهمة الاولى يجب أن تصب باتجاهها كل الجهود، بما فيها جهود التعبئة العقدية والنفسية والسياسية هو تصعيد هذا الجهاد الاسلامي حتى يلفح بنيران النورانية هضاب الجليل الفلسطيني.

ثانياً : الصراع الذي يخوضه النظام السوري مع الكتائب في لبنان، وهو صراع معقد ويحمل عدة أوجه فعلى الرغم من المكتسبات التى حققها النظام السوري من خلال رعايته لمحادثات لوزان ثم الغاء اتفاق ١٧ أيار وقبله تشكيل حكومة الائتلاف الوطني برئاسة كرامي، و بالرغم من تحسن العلاقات السورية ـــ المارونية وإعلان الشرعية برئاسة أمين الجميل الولاء لحافظ أسد في أكثر من مناسبة، فان الصراع فيما بين الطرفين مازال مستمراً ولا يمكن أن يفهم ما حدث من تخلخل أمني وفوضى وانهيار اقتصادي وتأزم داخل مجلس الوزراء خارج هذا الصراع.

فالكتائب يريدون مما قدموه حتى الآن أن تقوم سورية بعملية تسهيل عودة الشرعية وجيشها لقيادة الوضع كله والسيطرة عليه،بل يريدون أن يساعدوها على عدم تحقيق الحد الأدنى من المطالب الاصلاحية، كأنهم يريدونها مقابل الاقرار لها بدور الشقيق الأكبر أو الوسيط أو راعي الاتفاق اللبناني ـــ اللبناني الاكتفاء بذلك ومن ثم سداد فواتير مقابلة من بينها اجهاض المطالب الاسلامية الى جانب التفكير بالانسحاب من لبنان بعد الانسحاب الاسرائيلي وسيطرة الجيش البناني على الأمن.

بيد أن السياسة السورية أبعد ما تكون عن الاقتناع بما حصلت عليه أو القبول بما يريد الكتائب أن تقبل به، فسورية وهى تحاور الكتائب وتحقق مكتسبات هنا وهناك لا تستطيع أن تطمئن على الوضع في لبنان ما لم يعد جيشها الى المحاور الرئيسية في بيروت والجبل وربما في الجنوب أيضاً. وسيكون الفلتان الأمني والانهيار الاقتصادي «والحروب» اللبنانية ـــ اللبنانية، وفشل جيش الشرعية من السيطرة على الأمن، وأخيراً نجاح عرفات بارسال الآلاف من أنصاره الى المخيمات والجنوب في لبنان.. ستكون كل هذه العوامل أسباباً تفرض على الموارنة عودة استدعاء الجيش السوري للامساك بالوضع في لبنان، وعندئذ تبدأ الأمور بأخذ مسارات أخرى في الوضع اللبناني بما

في ذلك الحالة الأمنية، والشد على الحلفاء اللبنانيين ليكونوا أكثر استعداداً للتفاهم مع الشرعية، وأخيراً تحمير العين والتضييق على العناصر الفلسطينية المعتبرة موالية لياسر عرفات، بل ربما على مختلف العناصر الفلسطينية عموماً.ولكن الكتائب التى تريد إبقاء سيطرتها على السلطة وتريد للجيش اللبناني أن يحل محل الجيوش الأخرى.ولا تريد للبنان أن يصبح محافظة سورية تقاوم بأشكال معقدة هي الأخرى، فمن ثمة خط التفاهم مع النظام السورى ولكن من جهة أخرى أن تهول على سورية من المخاطر التى تنتظرها إذا لم تتحول الجهود لمقاومة جماعات ياسر عرفات كما تسميهم والجماعات الاسلامية المتطرفة حسب ادعائها. ومن هنا تجرى الضربات تحت الزنار بين الطرفين وهما يتعانقان بحرارة ووئام.

يساعد سورية على تنفيذ هذه السياسة المزدوجة عغبة القوى الاسلامية المختلفة بتصفية حساباتها مع الكتائب وعدم القبول بعودة «الشرعية المارونية» الى مناطقها لتجردها من السلاح وتجعل الأمن تحت رحمة الجيش اللبناني الكتائبي.ولهذا تقوم تلك القوى بمهمة اشعال خطوط التماس كما يحدث في الجبل، أو بابعاد الجيش عن الغربية كما يحدث في بيروت، أو إبقاء السيطرة الفعلية للقوى الاسلامية في طرابلس وهكذا.ان هذا التقاطع بين هذه القوى وسورية سيدخل مأزقاً في حالة خضوع الكتائب أخيراً للمطلب السورى غير المعلق وغير المصرح به وهو عودة قوات الردع الى مواقعها السابقة، وهذا ما يجعل هناك شروخاً بين هذه القوى و بين النظام السورى. لأنها تخشى ألا يكون جني ثمار ما يجرى الآن من نصيبها وإنما من نصيب النظام السوري كما حدث بعد معركة الجبل ١٩٧٦، أو معركة الجبل والضاحية في ١٩٨٣ ـــ ١٩٨٤.وأن هذه الشروخ هي أخذت تفتح الأبواب لاتصالات بين بعض تلك القوى و بين ياسر عرفات.

إن السياسة السورية في لبنان على مختلف مستوياتها ترمى الى هدف رئيسي وهو إحكام السيطرة على لبنان الى حد يشبه إحكام الدولة السورية لسيطرتها على محافظة حلب.وهذا الهدف هو الذى حرك صراعها مع م.ت.ف.خلال الأعوام العشرة الماضية خصوصاً خلال الثلاثة أعوام الأخيرة.فاخراج م.ت.ف.بقيادة فتح وعرفات يخدم غرضين الأول ابعاد منافس رئيس يعرقل تحقيق الهدف المذكور.والثاني يخدم مساومة غير مكتوبة في اتفاقية بين سوريا وكل من أمريكا والكيان الاسرائيلي.انها تستطيع أن تطالبها بالاقرار بدورها الرئيسي في لبنان مقابل عدم عودة م.ت.ف.إليه دون أن تكون أعطت ذلك المقابل ضمن صفقة على طاولة المفاوضات بل تأتي بصورة غير مباشرة من خلال محاربة قيادة م.ت.ف.باعتبارها استسلامية لأمريكا وإسرائيل !!كما أن المساومة مع أمريكا تدور حول انتزاع إقرار أمريكي بهذا الدور السوري ولكن ذلك ما كان ليحصل إلا عبر صراع دام شجعته سورية ضد أمريكا.مما جعلها تلعب دوراً لا ينكر بتشجيع العمليات ضد المارينز والسفارة الأمريكية.وكذلك الأمر بالنسبة الى المقاومة في

الجنوب. فالحرب والمفاوضات كلاهما ترميان الى انتزاع الاعتراف الأمريكي ـ والاسرائيلي بالدور السورى المميز إن لم يكن الأول والوحيد في لبنان.

وكذلك بالنسبة لعلاقة سورية بحلفائها في لبنان سواء القوى المحلية أم ليبيا أو إيران فهي تقوى وتنحل على ضوء تحقيق هذا الهدف. ولهذا لا يمكن إلا أن تتراجع تلك العلاقة في حالة انتزاع الموافقة المارونية على دخول قوات الردع الى بيروت وانتزاع الموافقة الأمريكية والاسرائيلية على الدور السوري المميز في لبنان.

ثالثاً : الصراع الدولي ـ خصوصاً الصراع الأمريكي السوفيتي ـ. شكّل لبنان نقطة صراع بين الجبارين الدوليين عكست صراعهما، بصورة خاصة في منطقة الشرق الأوسط. فعل الرغم من الاتفاق الأمريكي ـ السوفيتي الذى تمت تحت مظلت حرب ١٩٨٢، حيث قبل الاتحاد السوفيتي باطلاق يد أمريكا والكيان الاسرائيلي لاخراج م.ت.ف. من لبنان شريطة عدم المساس بالوجود السورى مقابل اطلاق يد الاتحاد السوفيتي في بولنده وفي عقد صفقة أنابيب الغاز السيبيرى مع أوروبا الغربية، فان أمريكا سرعان ما حاولت تعدى الاتفاق الى اعادة صراح سياسة الاستفراد في لبنان وقضية فلسطين فطرحت مشروع ريغان ومضت تطبخ اتفاقية مع لبنان تحققت في ١٧ أيار ١٩٨٣. مما جعل السوفيات يضعون ثقلاً مركزاً لمنع هذا الاستفراد والتمادى فعززوا الموقف السورى بكل قوة، وراحوا يشجعون بعض القوى اللبنانية كما شجعوا سورية على ضرب الأمريكيين في لبنان وكانت اولى ثمرات ذلك معركة الجبل ١٩٨٣. وعندما ألغيت إتفاقية ١٧ أيار ١٩٨٤ كان ذلك نصراً سوفياتياً على أمريكا. وأصبح الدور السوفيتي في لبنان راجحاً حتى في علاقته مع رئاسة الجمهورية وحزب الكتائب. فبينما أخذ الموقف الأمريكي يميل الى تجميد فعاليته بعد الضربات التى لحقت به مضى الموقف السوفيتي يتقدم بنشاط. ولكن يجب أن يلاحظ هنا أن الدور السوفيتي عبر أساساً من خلال سوريا، وإن كان يعمل على تعزيز أنصار محليين له، خاصة الحزب التقدمي الاشتراكي بينما يتجه الموقف الأمريكي الى جانب دعمه لاسرائيل الى فتح مساومة مع سورية يأمل من خلالها توجيه ضربة الى الاتحاد السوفيتي. ولكن ذلك غير متوقع في المنظور القريب على الأقل. وإن كان إحجامها، حتى الآن عن الاندفاع في التجاوب مع مشروع حسني مبارك والاتفاق الأردني ـ الفلسطيني بشكل أحد المحاور المغرية بالنسبة الى سوريا. أما إذا اتجهت الى التجاوب مع مشروع مبارك فسوف يشتعل الصراع الأمريكي ـ السوري، والأمريكي ـ السوفيتي على أرض لبنان كما في نقاط أخرى.

إن الصراع الأمريكي ـ السوفيتي الآن ومثله مختلف أشكال التدخلات الأوروبية لا تلعب إلا دور الاولى في تقرير ما يجرى على الساحة اللبنانية، خصوصاً، أن أدوار سوريا وليبيا والجمهورية الاسلامية والقوى المحلية الاسلامية والوطنية هي تلعب في هذه المرحلة الأدوار الأولى ضمن معادلة ميزان القوى الدولى والعربي المعطاة في هذا الظرف.

رابعاً : صراع المحاور العربية، الصراع السوري ـ الفلسطيني : قبل الانسحاب الاسرائيلي ركز الكثيرون من المعلقين توقعاتهم على إحتمال إنفجار حرب فلسطينية ـ فلسطينية في المخيمات، تعكس الصراع بين م.ت.ف. بقيادة فتح وسوريا. واعتبر معلقوا جريدتي النهار والعمل أن هذا الصراع يشكل امتداداً لصراع محور دمشق ـ طرابلس ـ طهران مقابل محور القاهرة ـ عمان ـ بغداد، (يجب أن يلاحظ أن بغداد لا تستطيع التجاوب مع محور القاهرة ـ عمان إذا كان باتجاه الاتفاق الأردني ـ الفلسطيني أو مشروع حسني مبارك لأن ذلك يضعف الدعم العربي والدولى لنظام صدام حسين ضد الثورة الاسلامية في إيران). وقد عزز تلك التوقعات ذلك الزخم الذى تحركت بها القوى الفلسطينية المؤيدة ل م.ت.ف. سواء في العودة الى لبنان أو الانتقال الى الجنوب. ولكن أثبتت الوقائع خطا تلك التوقعات حتى الآن. فكما يبدو أن سوريا ليست الآن في صدد فتح معركة فلسطينية ـ فلسطينية أو فلسطينية ـ لبنانية ما دامت قد فتحت ملف الأمن والاصلاحات أي معركة عودة قواتها الى بيروت والجبل باعتبارها الخطوة الحاسمة التى تحسم الصراع الثاني إذا تحققت. أما على المستوى العربي فان البرود الذى قوبلت به الاتفاقية الأردنية ـ الفلسطينية من قبل أغلب الدول العربية وأمريكا وكذلك بالنسبة لمشروع مبارك، ساعد على تخفيف القلق السورى من الصراع الفلسطيني ـ السوري في لبنان، بل رأت أن مصير الاتفاقية الفلسطينية ـ الأردنية سيكون لمصير إتفاقية ١٧ أيار !!! المهم هنا ملاحظة الاطمئنان السورى من نتائج هذه التحركات. وإن كان الكثيرون يحاولون تحذيرها من مخاطر إنفلات الأمور من يدها إذا استمر تدفق القوات الفلسطينية الى لبنان، أو من إحتمال عودة ريغان لتنشيط مبادرته على ضوء إقتراحات حسني مبارك أو ما هو قريب منها. ولكن هنا أيضاً أثبتت الوقائع أن سوريا تضع أوليات لها في هذه المرحلة في لبنان مفضلة على أولوية دخول المعركة مع م.ت.ف. وعودة قوات فتح الى المخيمات والجنوب. وهذا ما سيجعل المرحلة القادمة تحمل في داخلها كثير من المفاجئات خصوصاً، إذا استمر هذا الوضع من الفلتان !!! وإذا رضخت الكتائب لقبول عودة قوات الردع الى بيروت باعتبارها أهون الشرور أي أهون من إنفلات الحبل على الغارب للقوى الاسلامية الثورية أو القوى الفلسطينية (م.ت.ف.)

وبهذا يمكن أن تلحظ الحلقة المركزية التى تجعل الصراع بين سورية والكتائب يحكم الصراعات المحلية الأخرى، بما فيها الصراع السورى ـ الفلسطيني في لبنان الآن.

حول إدارة الصراع في لبنان :

إن القضية المركزية التى يجب أن تحظى على الأولوية في العمل في لبنان هي حشد القوى الاسلامية المجاهدة أولاً وسائر القوى المعادية للاحتلال الاسرائيلي ثانياً لتصعيد القتال ضد قوات الاحتلال من أجل إنزال هزيمة تاريخية بالعدو المتغطرس ولعل ذلك يكون طريقاً لحرب متواصلة تمتد الى الجليل. وتسهم في إيقاظ الجهاد

الاسلامي العالمي لمعركة التحرير الكبرى. إن هذه الأولوية يجب أن تعلو على كل المهمات الأخرى بل وتخضعها لها. وهذا يتطلب توحيد القوى الاسلامية وشن المعارضة الحاسمة لكل دعوات التفريق المذهبي أو الطائفي. كما يتطلب تجنب المعارك الجانبية ذات الطابع الفلسطيني ـ الفلسطيني أو الفلسطيني ـ السوري. الشعار يجب أن يبقى مركزاً على توحيد كل البنادق ضد العدو الصهيوني. أما الهدف الثاني بعد الهدف الأول فيجب أن يركز على كسر شوكة التسلط الماروني على لبنان، لتكون العزة في لبنان لله ورسوله ومن ثم للمؤمنين.

إن شعلة الجهاد الاسلامي في لبنان يجب أن تظل متوهجة وتُغذى بالمهج والنفوس، فلا يسمح باطفائها أو بسلب نورها. فهذه هي الأيام التى يمتحن فيها الايمان بالبذل والعطاء في سبيل الله، لكي يمرغ عدو الأمة بوحول هزيمة نكراء تذكرنا بهزيمة الصليبيين. وما سداد الخطى والتوفيق إلا من الله عزَّ وجل.

عثمان نصر الله

الوحدة الوطنية : التحدى المتكرر

أثناء مرحلة غياب الاسلام القسرى تقدمت القوى اللاإسلامية بأطروحات ـ ليس لها علاقة بتراث الأمة أو دينها ـ محاولة حل أشكالية التخلف والانهيار التى حلت بالأمة تقدمت هذه الأطروحات محملة برؤية الغرب وتجاربه على منطقتنا.

لهذا جاءت هذه الحلول معزولة عن حس جماهير المسلمين وعاجزة عن إثارة الحماس نحوها أو كسب الود الحقيقي من قبل الجماهير التى كانت تعبر لدى توجهها لاحدى هذه الحلول الوهمية عن حالة تمزقها ومظلوميتها و بحثها عن أي سبيل للخروج من المأزق الحضاري وبمجرد ما يفشل هذا الحل ـ الوهم في شق طريق الخير للناس وتبدأ ظاهرة التحلل فيه على صعيد الأخلاق والتنظيم والوسائل.. تستنكفه الجماهير مولية وجهها نحو جهة أخرى دونما تردد، وهذا ما يفسر تعاطف الجماهير المتناقض مع جهة وجهة أخرى !!

وفي الساحة الفلسطينية حيث أُبعد الاسلام لأسباب ذاتية لا تقل عن الأسباب الخارجية في خطورتها.. في الساحة الفلسطينية طلعت علينا موجة العلمانية الكاسحة بمقولات تفرغ الغضب الجماهيرى من أخطر بواعثه ألا وهي البعد العقائدي والبعد التاريخي.. مفتعلة معارك وهمية قائمة على الرؤية الصراعية بين الطبقات الاجتماعية لتحول حالة التوتر والشعور بالثأر العفوية والعنيفة الى شكل مقبول ومنسجم مع حجم وحالة القوى السياسية العلمانية.

والذى نريد مناقشته على هذه الصفحات موضوع الوحدة الوطنية الفلسطينية حيث شهدت آراء متضادة بين الموقف العلماني التغريبي والموقف الاسلامي التقليدي والمقصود بهذا الأخير موقف بعض الأشخاص المسلمين الذين لم يتأت لهم نصيب من العلم الشرعي أو إدراك الواقع أو تحمل هم قضية التحرير.. شهدت الوحدة الوطنية مواقف هذين الفريقين في غياب الوجود الاسلامي والفاعل والمواجد للكيان الصهيوني والمشروع الغربي. مما يدفعنا ونحن في بداية صعودنا الحضارى الذي تؤكده بشائر هذا القرن أن نعيد مناقشة كثير من الموضوعات والتى ظن الكثيرون أن ملفاتها أغلقت.. نناقشها ليتقدم أهل العلم والخبرة المجاهدون من علمائنا وقادتنا الربانيون بالاجابة عليها.

ولحساسية الموضوع وأهميته في آن واحد من المهم أن نؤكد أن تناولنا لهذا الموضوع قائم على أرضية الالتزام الواعي بأنَّ الاسلام دين الحق

والعدالة والحرية والرحمة للانسان أي إنسان وعلى أرضية الرفض للجهود المشبوهة التى يحاولها بعض الذين أستنزفوا فأصبحوا أدوات بيد الأجهزة الثقافية الغربية التى تجهد لايجاد حالة من التطبيع مع وضع الاستغلال والتبعية.. ولتحطيم الحاجز النفسي آخر الحصون بين الأمة وأعدائها على نسق المؤتمرات المسيحية الاسلامية المرتبطة بأجهزة غربية.

في ساحة العمل الفلسطيني وكامتداد للوضع العربي الرسمي الملكى والعسكرتارى خرج العلمانيون بكل مدارسهم من اليمين الى اليسار ليلغوا إمكانية العمل الوطني إسلامياً.. مرددين (أن على الجميع أن يتحدوا في الكفاح ضد الامبرالية والصهيونية بدون نعرات طائفية)وإذا تجاوزنا موقف اليسار الذى اعتبر الدين رجعية وتخريف الى الحديث عن موقف التلفيقين الوطنيين الذين اعتبروا أن (أن طرح أي أيديولوجية محددة ستشق الساحة وتلغي إمكانية وجود الوحدة الوطنية)ومع ضجيج شعارات ضخمة وفي ظل طلقات الرصاص التى بدأ يسددها الشباب ضد دوريات المحتلين عمّوا على البسطاء عدم التمسك والاستناد الى الدين الذى هو ــ حسب رأي هؤلاء ــ (يجزيّ النضال والمقاومة ويخلق فرقاً دينية مختلفة.. يعتمد البعض على الاسلام والبعض الآخر على المسيحية وهكذا تتشتت الجهود في جبهات مختلفة وربما متصارعة لذلك فان الاعتماد على الدين يسيئ للنضال المشترك لشعب يفرقه الدين ويجمعه الهدف المشترك ضد الاحتلال والامبريالية).

وقبل الدخول في مناقشة جادة لهذه المقولة نتساءل هل استطاع هؤلاء أدعياء الوحدة الوطنية والحرص عليها أن يوجدوا الوحدة الوطنية الفلسطينية ؟!.. الشعب الفلسطيني جزؤه الكبير ٩٠٪ مسلمون وأقل من ٧٪ مسيحيين.. والآن نتيجة وضع التجزئة التنظيمية يوجد أكثر من سبعة تنظيمات كبرى تتوزع ولاءات الفئات السياسية وتتبادل التهم والمعارك في كثير من الأحيان.. حتى المنظمة الواحدة تنقسم أجزاء وبشكل متوالي وهذه التجزئة التنظيمية تحميها وتحرسها أجهزة الأمن متعددة الأسماء والصحف الخاصة والنشرات الحزبية الخاصة والأدبيات الخاصة.

فأي وحدة وطنية حققت هذه المقولات والمنظمات العلمانية التي تنكرت للاسلام.. إنه بلا تردد يمكن القول أنّ الحركة الوطنية الفلسطينية أوجدت حالات من التجزئة جديدة في الساحة الفلسطينية تجزئة أيديولوجية وتجزئة جهوية وقبلية يذهب ضحيتها فقراء المسلمين ومستضعفيهم... ثم هل استطاعت هذه المقولات كسب ثقة مسيحيى فلسطين الذين من أجل إرضائهم (!!)تخلى قادة الحركة الوطنية ــ حسب زعمهم ــ عن طرح القضية إسلامياً ففي تصريح له بعد الثورة الاسلامية في إيران ورداً على سؤال حول إمكانية أن تصبح الثورة الفلسطينية تنهج الخط الاسلامي قال صلاح خلف : هذا لا يمكن لأنه يوجد عندنا نسبة كبيرة من المسيحيين (١٠٪) !! ويمكن صياغة السؤال الأخير بشكل أفضل : هل يطالب مسيحيو فلسطين أن يتخلى مسلمو فلسطين عن راية الاسلام وإذا حدث هذا ــ وهو مستحيل

سياسياً على سبيل المثال مسيحيي لبنان وبالذات الموارنة والذين يعيشون حالة خاصة حيث تمركزوا في جبل لبنان القريب من ساحل المتوسط وعاشوا جواً مغلقاً منفتحاً فقط على أوروبا وإرسالياتها.. مما عمق لديهم مطلبهم بالدولة القومية ــ الطائفية ــ «لبنان» بقيادة المارون..والتى وجدت الامداد الغربي والتشجيع، وكذلك نفصل الوضع المسيحي الفلسطيني الموجود القائم عن سلبيات بعض المجموعات التغريبية وتآمرها ضد الاسلام والمسلمين في بعض المراحل التاريخية.

ونحن في المشروع الاسلامي إذ نحاول إعادة التواصل في حركة التقدم الاسلامي نحو إيصال كلمة الله للعالمين.. لا بد أن ندقق في خطواتنا وعلاقاتنا بالآخرين ولا بد أن نحمل تصوراً إسلامياً راشداً ونلتزم به حيال هذه القضايا الكبرى... ولا بد أن تحمل حركتنا وممارستنا مصداقية ما نعلن من مواقف وبالذات حول هذه القضايا الحساسة والتى تتحمل الأخطاء فيها مزيداً من التأويلات السيئة التى يحرص أعداء الأمة على إثارتها لاغراقنا في مشاكل داخلية.

فلننظر بعين الاهتمام والتقدير لهذه المواقف المسيحية المستندة للفكرة العثمانية والتى مثلها رجال دين كبار ومثقفين هامين وحرفيين وغير ذلك من الفئات وهؤلاء دعوا الى الوحدة في إطار الخلافة العثمانية وآمنوا بخضوع كل الأمور الحياتية والقضائية بشكل خاص لنظام الخلافة وآمنوا بضرورة ذوبان القومية في المجتمع العثماني الكبير، في كتاب «الجامعة العثمانية» للمجالى ص ٧٤ ينقل نصاً عن سليم تقلا قوله : (وإذا تبين هذا وهو الحق الصراح كان ابن مصر وابن الحجاز والعراق والشام وأرمينيا والأناضول وطرابلس الغرب وكريت والبلغار أخوة لأم هي دولتهم العثمانية وأب هو جلالة السلطان بل كان العربي والتركي واليوناني والأرمني والشركسي وغيرهم واحداً في الوطنية ولقبه عثماني..) وفي نفس المصدر كلمة ألقاها أندره مطران وهو مسيحي لبناني بارز في مؤتمر باريس كان عنوانه «الحفاظ على الوجود القومي للأقطار العربية في الامبراطورية العثمانية».. منها : (إن إرتباطنا بالدولة العثمانية وإتصال علاقتنا بالأمة التركية أسلم عاقبة وأنتج خيراً للعرب من أي إرتباط آخر سواه).

وقد دعا سليم البستاني أحد أهم الشخصيات المسيحية التى كان لها دور سياسي في نهاية القرن التاسع عشر.. دعا الى تجنيد المسيحيين حتى يتسنى لهم أن يدافعوا الى جنب المسلمين عن الخلافة العثمانية ــ يراجع كتاب (المثقفون العرب والغرب) هشام شرابي ص ١٢١.

ووجود هذا الفريق من المثقفين ورجال الدين المسيحيين كذلك أن الاستعمار يلعب دوراً خطيراً في تفتيت هذا الكيان (الخلافة العثمانية) عن طريق إثارة التعصب المسيحي واقتسام العقل العثماني كما عبر سليمان البستاني في كتابه (عبرة) ص ٣٨، وكما عبر أحد أهم المثقفين المسيحيين في بدايات هذا القرن، أسعد داغر على سبيل المثال «فالحقيقة التى يعترف بها الآن كل منصف هي أن هذا التعصب الذميم أدخل على الأمة.. بأيدي الأجانب لأغراض خاصة وهكذا

كانت المدارس التى أنشئت للتعليم في البلاد العربية الى طوائف عدة متباغضة يريد كل منها القضاء على الآخر و يتمني لو استطاع أن يمتص دمه أو يدفنه حياً»، مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٢٨.

وهذه الحرب الصليبية المجرمة التي يشنها الغرب (المسيحي) على أمتنا هى شي آخر غير هؤلاء المسيحيين الفلسطينيين وكما قال المطران إيليا خورى وهو من كبار رجال الدين المسيحيين الفلسطنين في حديث له مع التلفزيون الأردني في أواخر شهر نوفمبر ١٩٨٤ «إن المسيحية في الغرب اليوم تسيطر عليها الصهيونية السياسية وإن الذين شنوا حروبهم الصليبية ضد المسلمين لم يستندوا الى أي من تعاليم المسيحية إنما هو الحقد والمطامع.. ونحن على طول تاريخنا ألف وأربعمائة عام كنا و باستمرار مع إخواننا المسلمين ندافع عن فلسطين ضد كل الهجمات الصليبية.. ولقد عشنا جميعاً على هذه الأرض دون أن تتهدد وحدتنا الوطنية لأن الاسلام يضمن حقوق الجميع»، و يصور موقف مسيحيى فلسطين موقف الشاعر القروى :

يدعوك شعبك يا صلاح الدين قم
تأبى المروءة أن تنام و يسهروا
نسي الصليبيون ما علمتهم
قبل الرحيل فعد إليهم يذكروا
«ريكاردس» أدرى بسيفك منهمو
فليسألوه لعله لا ينكر

إن معرفة دقيقة وتفصيلية لتاريخنا الاسلامي ومعرفة شمولية لطبيعة الحكم الاسلامي وعلاقة المجتمع الاسلامي بالتجمعات الدينية الأخرى أمر مهم لاتخاذ موقف سليم لايجاد إطار من العلاقات التى يضبطها الشرع الحكيم لا كما حاولت مجلة «الثورة الفلسطينية» والصادرة عن حركة التحرر الوطني الفلسطيني فتح وفي أعدادها الأولى و بالتحديد العدد الحادى عشر ٦/٩/١٩٦٨ أن تقول «إن خبرة قرون طويلة من الكفاح التحررى لشعوب العالم يمكن أن تلغي الكثير من الأضواء على قضية الوحدة الوطنية الفلسطينية وتقي الشعب الفلسطيني بالتالي السير في طرق مسدودة ومن تضييع الكثير من الوقت والجهد»، وتدخل تفصيلياً في الحديث عن الوحدة الوطنية الفيتنامية وكيف نجحت وعن الوحدة الوطنية الصينية وكيف فشلت، معيدة السبب الرئيسي لكون القيادة في الأولى من شرائح البروليتاريا وحاملة أيديولوجياتها وفي الأخرى سيطرت الطبقات البرجوازية (التى لم يصل تناقضها مع الامبريالية الى أن يكون تناقضاً مطلقاً.. لذلك سقطت الجبهة وانهارت الثورة)وتواصل المجلة والتى ترسم أبجديات إستراتيجية فتح في أكثر مراحلها زخماً وعطاء لتخلص الى : «ولا يغير اختلاف ظروف الثورة الفلسطينية من هذه الوقائع شيئاً فهنا أيضاً توجد طبقة من الذين تشدهم امتيازاتهم.. وتوجد طبقات محرومة معدمة» ثم تبدأ المجلة في إسقاط نظرية الصراع الطبقي على المجتمع الفلسطيني لتقسيمه الى طبقتين (الطبقة البرجوازية وهي المساومة والمترددة والطبقة المحرومة وهي مفجرة الثورة باستمرار) ثم بعد ذلك ترى المجلة (أن النضال من أجل وحدة وطنية فعالة وقادرة على

التصدى لحل معضلات الثورة الوطنية الفلسطينية لا يمكن أن يسير الآن إلا بالنضال في إتجاه تعميق القيادة الثورية للطبقات والقوى الأكثر جذرية..» نعم هكذا !!

إن قطع تواصل تاريخ الأمة وعدم الاسترشاد بتجاربها واللجوء الى تجارب الشعوب الأخرى ذات التجارب الخاصة بها وإن هجران معرفة العوامل الأساسية التى تشكل نفسية شعب ما إذ أن المنطق والتجربة تثبت أنه بالرغم من أهمية العامل الاجتماعي والاقتصادى إلا أنه ليس العامل الوحيد الذى يمكن أن يكون عامل الفرز والتمييز.. إن نفسية شعب ما تهم في تكوينها عوامل عدة أهمها معتقد هذا الشعب وتراثه وتاريخه و بيئته ووضعه الاقتصادى.. إن قطع تواصل تاريخ الأمة وعدم إدراك الواقع الفلسطيني الذاتي وإن الانطلاق من نظريات الغرب لحل مشكلاتنا مبتعدين عن قوانين وروح وتاريخ الاسلام.. كان لا بد أن يكون ضرباً عنيفاً في إسار الوحدة وإغراقاً في فوضى المفاهيم وفوضى القيم والعودة الى مسلسل التجارب والأخطاء.

لقد وصل ــ في ظل فوضى المفاهيم ــ مفهوم الوحدة الوطنية الى الوحدة بين الفصائل في إطار واحد.. على الاطلاق ليس هذا هو الوحدة الوطنية إنما هذا محاولة توحيد وتنسيق بين فصائل (م.ت.ف.)..إنه عبارة عن توليفة تغلق باب شرعية العمل الوطني الفلسطيني أمام أى قوة جديدة ذات رؤى مخالفة لرؤى القوى العلمانية التى تجسدت في (م.ت.ف.).

لقد فشل المشروع العلماني (العربي الرسمي والوطني الفلسطيني) في التصدي للهجمة الغربية وفي حل مشكلات المجتمعات العربية والفلسطيني منها بشكل خاص.. فلا ينتظر منها إلا مزيداً من التجزئة والخراب.

إن الوحدة الوطنية التى سقصد منها أن يمارس أفراد ومجموعات المنطقة المعينة أنشطتهم بانسجام وفعالية محددة حقوقهم وواجباتهم تجاة المجتمع في ظل الحكم الاسلامي والراية الاسلامية، وهذه الوحدة الصغيرة جزء نشط في الوحدة الكبرى وحدة الأمة الاسلامية باطارها السياسي الخلافة الاسلامية.. وغير مقصود على الاطلاق من الوحدة الوطنية أن يعزل المشروع الاسلامي في منطقة معينة عن بقايا أجزائه في المناطق الأخرى..

إن هذا المقال كما هو واضح عبارة عن إثارة قضية هامة أكثر من كونه يقدم رأياً حولها مما يجعل ما جاء خلاله من رأي بمثابة عارض على القضية وإن أملا عظيماً في أن يتقدم ذو الخبرة والعلم من علمائنا المجاهدين وقادتنا الربانيون في الاجابة على مثل هذه القضايا والتقدم بحركة تحقق مصداقية ما نطرح.. إن أملا عظيماً في هذا مع بدايات صعودنا الاسلامى يحدونا...

اللهم إن كنت اصبت فبفضلك وإن كنت أخطأت فمن نفسى فاغفر لي، وانصر أمتنا واجعل كيد أعدائنا في نحورهم، آمين.

صلاح الدين فتحى

الجامعة التونسية : هل انفرجت الأزمة ؟

شهدت الجامعة التونسية في الفترة الأخيرة تطورات سريعة وحاسمة شدت إليها أنظار المراقبين في الداخل والخارج نتيجة للدور الكبير الذى لعبته الجامعة في العشر سنوات الأخيرة في الأحداث الهامة الأيديولوجية والسياسية على الساحة القومية. فقد كان أول تحرك واضح لهم عند وقوفهم ومساندتهم المطلقة للاتحاد العام التونسي للشغل ومطالبه المشروعه، كما وقفوا بجانبه في محنته سنة ١٩٧٨ بعد أحداث يناير الدامية. كما تبنى الطلبة مواقف واضحة ومبدئية من الايقافات والمحاكمات الصورية التى أقدم عليها النظام ضد مخالفيه في الرأي لا سيما المحاكمات الظالمة لمناضلي الاتجاه الاسلامي، كما لعب الطلبة دوراً كبيراً في توعية الشارع التونسي بقضاياه الاجتماعية والسياسية وتحريكه والوقوف معه كما تجسم في أحداث يناير الشعبية من السنة الماضية والتي التحم فيها الطلبة مع الجماهير الغاضبة على السياسة الرأسمالية للدولة التي تُعمق الفوارق الطبقية على مستوى الفئات الاجتماعية وعلى مستوى الجهات والتي تُوّجت آنذاك بالترفيع الجنوني لأسعار المواد الغذائية. وطبعاً لم ينج الطلبة من سطوة النظام وتسلطه نتيجة مشاركتهم المبدئية في التحرك الشعبي حيث تم إعتقال ومحاكمة العديد من الوجوه الطلابية البارزة من أمثال الدغبوجي الذى حوكم بعشر سنوات سجناً، الى جانب العديد من زملائه الطلبة الذين تعرضوا للطرد التعسفي والالحاق بالجندية والمحاكمة.

لم يهمل الطلبة في الجامعة التونسية البعد العالمي لنضالهم ضد كل أشكال القهر والتسلط حيث عبّروا عن إدانتهم للامبريالية العالمية بشقيها وللصهيونية ولكل أشكال التمييز العنصري كما عبّروا أكثر من مرة عن مساندتهم لحركات التحرر في العالم وحقها في الاطاحة بكل أنواع الاستعمار والحكم الدكتاتورى. وقد ترجم الطلبة هذه المبادىء التى آمنوا بها عملياً حسب ما تسمح به القدرات والطاقات إذ يقيمون بصفة دورية إحتفالات ثقافية وسياسية تتخللها المحاضرات والندوات والمعارض للتعريف بالقضايا الثورية وجمع التبرعات لها. ويخص بالذكر هنا الاحتفال السنوي بيوم الأرض الفلسطيني واحتفالهم باليوم العالمي للتنديد بالامبريالية.

أما على مستوى القضايا الجامعية، فقد أحسَّ الطلبة بأهمية الدور العلمي والاجتماعي الذى يجب أن تلعبه الجامعة في تحضير المجتمع وتقدمه نحو الأفضل، وقد عبّروا أكثر من مرة على أن السياسة الانتقائية وطبيعة المناهج التربوية والعلمية المعتمدة في الجامعة تكبت روح الانتاج والبحث وتُقيِّد الطاقات والقدرات الابداعية لدى الطلبة وان الجامعة لا يمكن أن تلعب دورها الحضاري إلا بعد الصياغة الجديدة للنظام

واليسار الماركسي وتعاطف عموم الطلبة مع المعتدى عليهم واستنكارهم لأساليب القمع والعنف التى يعتمدها اليسار والنظام لمقارعة الرأي الآخر والتى تؤكد الافلاس الفكرى والعجز العقيم عن تدعيم موقفهم بالحجة والاقناع.

كل هذه الأحداث ساهمت في إبعاد نفوذ أعداء الطلبة عن الجامعة و يكفي أن يذكر هنا بحادث فريد لفت انتباه العالم بأسره وتناقلته وسائل الاعلام العالمية، والمتمثل في منع الطالبة فتحية المزالى قرينة الوزير الأول من إلقاء محاضرة في إحدى قاعات الجامعة رداً على الأسلوب الديمقراطي الذى تعاملهم به الحكومة وإدارة الجامعة.

لقد أدركت الحكومة بعد هذا الفشل المتواصل في فرض الحلول الدستورية، ـــ أن أزمة الجامعة والتى باستمرارها تؤثر سلباً ليس على الواقع الطلابي فقط بل والاجتماعى والسياسي كذلك ـــ لا يمكن أن تحل إلا عن طريق الطلبة أنفسهم، فدعا مسؤولو النظام، خاصة الوزير الأول ووزير التعليم العالي والبحث العلمي، الطلبة الى بناء منظمتهم واختيار ممثليهم لارساء حوار ديمقراطي بينهم و بين الادارة لمعالجة مختلف المشاكل المتراكمة، و بهذا يكون الحزب الحاكم قد انسحب كطرف مباشر في قضية المنظمة الطلابية. طبعاً لا يمكن للنظام أن يتخذ مثل هذا الموقف بدون أن يبني نواياه الباطنية لتحركه في المستقبل عندما تسنح له الفرصة.

إن التناقضات الأيديولوجية داخل صف الطلبة كان عائقاً آخر نحو حل القضية الطلابية رغم رفع يد النظام المتسلطة، فقد بقى كلا الطرفين متمسكاً بالحل الذى يراه لانشاء المنظمة النقابية الطلابية، حتى ظن المراقبون أن أزمة الجامعة أخذت مساراً آخذ في إتجاه مسدود. إلا أن المقترح المفاجئ والجرئ الذى قدّمه بعض الطلبة والذى وافق عليه دعاة المؤتمر التأسيسي بما فيهم عناصر الاتجاه الاسلامي، حوَّل إتجاه الأزمة الى طريق الحل، و ينص المقترح على تحكيم كل الطلبة بمختلف إتجاهاتهم وانتماءاتهم لاختيار الشكل الذى يرتضونه للحل سواءاً كان مؤتمراً تأسيسياً أو مؤتمر استثنائياً. وذلك من خلال تنظيم مؤتمر عام يحضره ممثلين منتخبين من قبل طلبة كل الكليات. وقد كان لهذا التطور الجديد دور كبير وهام في كشف المواقف الحقيقية لكل الأطراف التى كانت تدعوا في بياناتها الى تحكيم الديمقراطية في الجامعة. فأما دعاة المؤتمر التأسيسي بما فيهم الاسلاميين، فقد رحبوا بالفكرة دفعاً للحل ودخلوا عملياً في «تحالف الوحدة النقابية» الذى وكلت إليه مهمة تنظيم المؤتمر العام لحسم الخيار الطلابي والذى ضم مختلف الحساسيات الطلابية التى تؤمن بالحل الديمقراطي و بحق الطلبة في الاختيار. أما الفصائل اليسارية الماركسية فقد كشفت عن حقيقة موقفها الذى ينم على التكالب على المناصب الادارية في الاتحاد لاغير. فقد أعلنت رفضها للمؤتمر العام ولتحكيم عموم الطلبة بدعوى «أنه لا إمكانية لوضع ال (١٨) ـــ المؤتمر الاستثنائي ـــ في الميزان مع التأسيسي وأن واجب الطلبة ودورهم يكمن في إنجاز المؤتمر (١٨) ـــ الاستثنائي ـــ بما أن الساحة

صارت مهيأة للتنظيم و يبقى المؤتمر (١٨) هو باب الخروج من الأزمة والباب الوحيد أيضاً !».[٢] ويمكن ملاحظة النفس السلطوي الوصائي الذى يخاطب اليسار الماركسي به جموع الطلبة بدون أن يترك لهم حرية الرأي والاختيار. وقد علق أحد المحللين على مقولتهم ــ أن المبادئ لا تقبل الاقتراع والانتخاب أو الاستفتاء ــ بقوله «لا شك وأن هذه القوى اليسارية تبعاً لتحليلها الذى رفضت بمقتضاه طرح صيغة المؤتمر (١٨) ــ الاستثنائي ــ للاقتراع، سترفض رفضاً قاطعاً إجراء إستفتاء تطرح فيه مثل هذه الأسئلة التى تتعلق بمسائل مبدئية لا يمكنها الخضوع لرأي الأغلبية فيها، وهذا ما يفتح الباب عريضاً لاعادة النظر في نوع الديمقراطية التى يؤمنون بها فمن أهم مقتضيات الديمقراطية حسبما أعلم: العملية الانتخابية والخضوع لحكم الأغلبية، أم أن حكم الأغلبية لا يتعدى في نظر هؤلاء حدوداً ترسمها الأقلية مسبقاً.»[٣] في الواقع أن هذا التصرف لا يخرج عن الاطار الذى رسمه الماركسيين في العالم العربي لأنفسهم كما يشهد تاريخهم في تونس وفلسطين والكويت والسودان بذلك. وقد تصرف اليسار في الجامعة بردود الأفعال المفضوحة حيث قرروا العمل على إعادة الاتحاد القديم وتكوين هيئة إدارية له. إلا أن هذا التطور السريع للأحداث وتجاوزها لمزايدات اليسار سبّب بلبلة في صفوف هؤلاء واضطراباً في مواقفهم ففي حين أعلن النقابيون الثوريون البدأ عملياً في الاعداد للمؤتمر الاستثنائي رفض الوطنيون الديمقراطيون هذه الخطوة واعتبروها ردة فعل غير حكيمة حيث ذكروا «أن الدعوة الى إقامة إنتخابات موازية هي عملية تخضع أساساً الى حسابات خاطئة لا تعكس في الأخير إلا فهماً سطحياً لواقع الحركة وتشكيكاً في وعي الطالب... .إن هذه الانتخابات الموازية لا تشكل إلا عملية رد فعل و بالتالى فهى لن تكون إلا ظرفية وعابرة.»[٤]

المؤتمر العام للحسم

إيماناً منهم بأهمية العمل المنظم، ورغبة في الخروج من التشرذم والتشتت وقف الطلبة صفا واحداً لتنظيم مؤتمرهم العام للحسم في الصيغة التنظيمية التى تراها الأغلبية رغم المحاولات التشكيكية والعبثية التى يقوم بها الطلبة الدستوريون واليساريون. فمنذ أن تبلور مقترح المؤتمر العام زمن الاعلان عن تحالف الوحدة النقابية في ١٥ مارس الماضي حتى بدأ التخطيط الفعلى لتنظيمه إذ فتح آنذاك باب الترشيحات لتمثيل الطلبة في المؤتمر العام «قدّم خلالها التحالف قائمة موحدة ورغم ذلك قدّم كثير من الطلبة في عديد من الأجزاء قوائم موازية مما سيمثل تنافساً على مقاعد المؤتمر في أهم الأجزاء عدداً وحركية».[٥] مع العلم أن تحالف الوحدة النقابية يضم بالاضافة للاتجاه الاسلامي مجموعة من التيارات الطلابية وهي النقابيون الديمقراطيون، طلبة مستقلون وقوى يسارية مستقلة بالجامعة. وقد جرت الانتخابات في بداية شهر أبريل بمشاركة عدد كبير من الطلبة تجاوز بكثير نسبة الطلبة الذين شاركوا في انتخابات الاتحاد الملغي وحتي انتخابات مجالس الكليات التي لم تتجاز نسبة مشاركة الطلبة فيها ٤٠٪. أما إنتخابات المؤتمر العام للحسم فقد بلغت

نسبة المشاركة فيها ٩٥٪ في بعض الكليات مثل المدرسة العليا للفلاحة بمقرن (٩٤،٠٣٪) والمدرسة العليا للصناعات الغذائية (٩١٪)، رغم وجود بعض النسب الضعيفة في ٣ كليات من ٢٧ كلية مشاركة في الانتخابات.

انعقد المؤتمر العام لحسم المسألة الطلابية أيام ١٨ و ١٩ و ٢٠ أبريل الماضى حيث حضر كل نواب الطلبة لحل القضية النقابية وقد تبنى المؤتمر العام للحسم مقترح الاتجاه الاسلامي الداعي الى تأسيس منظمة طلابية جديدة وذلك بأغلبية ساحقة وقد أطلق عليها اسم «الاتحاد العام التونسي للطلبة» وجاء في قانونها الأساسي أنها «منظمة نقابية طلابية تعمل باستقلالية عن كل التنظيمات السياسية وتستمد شرعيتها من إرادة منخرطيها الذين لهم وحدهم حق تحديد برامجها ومواقفها»، وقد حضر المؤتمر العديد من ممثلى الصحافة القومية والعالمية لتغطية أشغاله، «كما واكب المؤتمر فريق تصوير مختص ــ مكلف من طرف تحالف الوحدة النقابية ــ على أجهزة الفيديو والتصوير العادى وقد سجلت كل أعمال المؤتمر لعرضها على شاشة الفيديو حتى يتمكن الحضور من متابعة ذلك خارج المؤتمر».[٦] وقد أنهى المؤتمر أشغاله بانتخاب المكتب التنفيذى الجديد للاتحاد العام التونسي للطلبة والذى ضم ١٢ طالباً وطالبة واحدة.

لقد رسم للاتحاد الجديد خطوط سياسته التى وقع الاتفاق عليها في المؤتمر العام في أول بيان للمكتب التنفيذى المنتخب والذى أشاروا فيه الى النقط التالية :

١ ــ ان ميلاد الاتحاد العام التونسي للطلبة جاء كمحاولة لوضع حد لحالة من التمزق والتشتت والاغتراب عاشتها الحركة الطلابية ولتجاوز واقع المأساة التنظيمية التى كادت أن تتأبد وتنسف كل المكتسبات وكخطوة للخروج بالمؤسسة الجامعية من وضعية العجز والشلل والتدمير الى وضعية الفعل والبناء.

٢ ــ ان الاتحاد العام التونسي للطلبة منظمة طلابية حرة جماهيرية مستقلة تؤمن بمبادئ العمل النقابي الديمقراطي (التزام بقرار الأغلبية واحترام موقف الأقلية ــ قاعدية القرار ــ النقد والنقد الذاتي...) وهي مصرة على تدعيم جماهيريتها واستقلاليتها وترسيخ التقاليد الديمقراطية وضرب البيروقراطية داخل هياكلها.

٣ ــ ان الاتحاد العام التونسي للطلبة كما يدافع عن المصالح المادية والمعنوية لمنخرطيه فهو يناضل من أجل نظام إجتماعي وسياسي عادل وديمقراطي و يربط علاقات تعاون وتآزر مع كل الأطراف الدمقراطية المناضلة والقوى الوطنية الحية :

ــ يناهض الصهيونية وقوى الهيمنة والتمييز العنصرى

ــ يساند حركات التحرر في المنطقة العربية والعالم الاسلامي وفي العالم وعلى رأسها حركة التحرير الفلسطينية.

ــ يناضل من أجل التحرر والاستقلال الثقافي والحضارى و يناهض الاستبداد السياسي وانتهاك حقوق الانسان.

ــ يناضل من أجل وحدة المنطقة العربية والوطن الاسلامي نحو وحدة الشعوب المستضعفة

في العالم.

٤ ــ أن الاتحاد العام التونسي للطلبة منظمة نقابية مفتوحة لكل طالب مرسم باحدى المؤسسات الجامعية داخل البلاد لكل طالب تونسي خارجها، دون أي إعتبار للونه الأيديولوجي وانتمائه السياسي.

٥ ــ أنه إذا كان الهدف الأساسي لعقد المؤتمر العام هو حسم الخلاف النقابي على قاعدة وحدة الحركة الطلابية وأساساً وحدتها التنظيمية فاننا نؤكد أن مبدأ الوحدة النقابية سيبقى وسيظل خياراً ثابتاً في عمل المنظمة ومواقفها.

٦ ــ نؤكد إيماننا بالعمل النقابي الجماهيري في إطار الشرعية العلنية والقانونية.

٧ ــ أننا نوجه نداءاً حاراً الى كل الأطراف والقوى الحية والرأي العام بالبلاد للوقوف الى جانبنا ومساندتنا في تدعيم هذه المنظمة وعدم التفريط في هذا المكسب الوطني.

قطعاً ستكون المرحلة القادمة هامة ومصيرية للاتحاد الطلابي الجديد، إن الانتقال الى العمل المنظم لا ينهي التحديات والعراقيل التى تقف أمام تحقيق الأهداف المرسومة من الواقع التنظيري الى واقع الممارسة والتطبيق، والذى لا يمكن أن يكون إلا ضمن إطار منظم، هو المخاض العسير الذى يكشف مدى إخلاص القائمين على تلك الأهداف وقدرتهم على مجابهة التحديات المنتظرة.

المنصف خير الله

المراجع

(١) ذكر هذا في بيان صادر عن الاتجاه الاسلامي في القطاع الطلابي في بداية الثمانينات.
(٢) عن الرأي التونسية الصادرة في ١٩/ ٤/ ٨٥
(٣) عن الرأي عدد ٣١٨ الصادر في ٢٦/ ٤/ ٨٥
(٤) عن الرأي عدد ٣١٧ الصادر في ١٩/ ٤/ ٨٥
(٥) عن الرأي عدد ٣١٤ الصادر في ٢٩/ ٣/ ٨٥
(٦) عن الرأي عدد ٣١٨ الصادر في ٢٦/ ٤/ ٨٥

من تراث الحركة الاسلامية المعاصرة

قراءة اصولية في الفكر السياسي الاسلامي (٢)

د. حسن عبد الله الترابي

الطبيعة الدينية للنظام السياسي للاسلام

*** عقيدة التوحيد :ــ**

من بدائة الاعتقاد في الاسلام أن يدين الانسان لله دين توحيد، أن يجعل الحياة كلها، محياها ومماتها وزينتها ومتاعها ومعاشها وجدالها وقتالها وسرها وسياستها كلها عبادة لله رب العالمين ، و يعبر المؤمن عي هذه العقيدة التعبيرية باتباع الصراط المستقيم الى الله، فيجعل سيرة حياته وفاق الشريعة العملية التى جاءت في أصل الاسلام : الكتاب الموحى كما تبينه السنة المهدية، فليس للمؤمن إلا الله يوجه إليه وجهه، و يتخذ لقاءه غاية، مهتدياً بكتابه مقتدياً برسوله. وتنسلك سائر مقاصد الحياة المؤمنة من دون ذلك ــ في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع ــ في سياق التوجه الى الله. فبالتوحيد يستقل المؤمن من أن ترهنه أغراض الدنيا المعارضة أو تستعبده بعض الذوات البشرية أو تأسره العلائق الاجتماعية فيوقف نفسه عليها و بذات عقيدة يسرى التوافق والانسجام في حياة الفرد والجماعة المؤمنة، فلا تتفرق المقاصد أو تختلف المسالك وإنما تتوحد حياة المجتمع قاطبة.. من أخص المعاملات الى أعم الصلات، فلا تخرج الممارسة السياسية لدى الفرد المؤمن أو الجماعة عن أن تكون عبادة لله تتوخى إخلاص القصد خشية ورجاء، وتلتزم استقامة العمل على هدى من نص الشريعة وروحها.

تلك هى العقيدة التوحيدية ومثال تجليها في الكسب السياسي وفى سائر الحياة لدى المؤمنين.

ولكن الله ــ جلّ شأنه ــ يبتلى الناس في إيمانهم ويمتحن إخلاص توحيدهم، فيشركون قليل الاشراك أو كثيره، وما أمراض التدين وعلله في النهاية إلا أعراض لشرء من الاشراك.

أما الآفات الزمنية التى تصيب أهل التدين، فأشكال التدين التى تتخذ وسائل الى الله تكاد تؤول الى حجب عن الله اذ يتطاول العكوف عليها فتغدوا من فرط التعلق كالغاية لذاتها، أو يتقادم

عهدها وتتقلب ظروف الابتلاء التى نصبتها وسائل، فلا تبقى لها شيء من الجدوى الدينية إلا التمادى في العادة المستقره، فالشكلية والجمود ينطويان على معنى الاشراك، والتجديد الديني الذى يحيى نبات التوجه الى الله من وراء الأشكال الرتيبة و يصرف الاشكال حسبما يتقضى الابتلاء والشرع — هو معنى التوحيد.

وقد بدأت الملل الدينية السماوية كلها معتصمة بقدر عال من التوحيد، توحد الله في الضمائر مقصوداً، وتوحده في الظواهر معبوداً بالاسلام في كل وجوه الحياة. ولكن الله ما قدمنا لا يترك الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، بل يمضى عليهم أقدار الابتلاء لتمحص أقدار الابتلاء ليمحص إخلاص الموحدين وليفشى المفتونين غواش الاشراك الخفى الجلى. وتبدو سنن الفتنة جلية في حياة المجتمع حين تفقد تلك الحياة وحدتها وتخرج بعض مجالاتها من التدين الخالص وتنقطع عن عرى السماء وأنواط الشرع لتتشبث ببعض التعلقات الدنيوية الهابطة.

و يكون الاشراك إقتصادياً حين ينقطع إسناد المال الى الله، و ينسى في أيلولته معنى الاستخلاف، فيحسب الانسان إنما اكتسبه بعلمه وعمله ليتصرف فيه كما يملى هوى الأنفس وشحها — وتلك هى المادية في أنماطها الغابرة والحاضرة. و يكون الاشراك علمياً حين يصوب العلم الى ظاهر الحياة أقدارطبيعتها ومجتمعها، ولا يتصل ليرى آيات الله في الوجود المشهود و بينات الآخرة في الدنيا و يكون الاشراك فن الفي حين تسود عقيدة تعبر عنها المقولة المشورة في مدارس الفن الغربى، الفن للفن، فيتجرد الفن عن أن يكون عبادة مفضية الى الله.

أما داء الاشراك السياسي الذى هو موضوع هذا المبحث، فيكاد يسرى في كل مجتمع بشرى حاضر. ولما كانت سنن التدين التوحيدى وأمراضه متماثل عبر التاريخ فقد قص القرآن قصص أهل الكتاب وما أصابهم من علل الدين عبرة لأولى الألباب، فقديماً طغى فرعون في وجه موسى إذ دعاه الى العقيدة السياسية التوحيدية، فادعى فرعون أنه الرب الأعلى الذى لا تعلو فوقه حاكمية ولا يفلت أحد من سلطانه فجعله الله مثلاً وعبرة باقية للطاغوت السياسي تعالياً على الناس واستخفافاً واستكباراً في الأرض واستنكافاً عن كل شريك في أمره وضابط لسلطانه، وإيراد من ثم لقومه موارد الهلاك في الدنياوالآخرة.

يقول الله تعالى (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، إنَّ في ذلك لعبرة لمن يخشى)[النازعات ٢٣ — ٢٦]، (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطّلع الى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين، واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون)[القصص ٣٨ — ٣٩]، (ونادى فرعون قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون)[الزخرف ٥١]، (...قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)[غافر ٢٩]، (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح

أبناءهم و يستحى نساءهم إنه كان من المفسدين)[القصص ٤]، (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين)[الأعراف ١٢٣،١٢٤]، (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل لما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وما كانوا يعرشون)[الأعراف ١٣٧]، (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً و يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)[غافر ٤٦].

* قصة اللادينية السياسية في الحياة الأوروبية النصرانية :—

ذلك مبلغ المثلى والعبرة، أما هنا الحاضر ونحن نقدم هذا التقديم لمعانى التوحيد وعلل الاشراك، فهو تأمل قصة «اللادينية السياسية» التى أصابت مجتمعات النصارى، فان لنا عبرة جليلة في مقايسة أمرنا الى تجاربهم وتاريخهم السياسي، فهم أصحاب أكبر تجربة في التاريخ في التحول من الحكم الدينى الى الحكم الوضعي وكما أن تجربتهم هى أوسع التجارب إنتشاراً وأثراً في العالم أجمع، بل إن العلمانية — وهو المصطلح الذى سميت به هذه اللادينية، مذهب تورط فيه جل العالم الاسلامى بأثر غالب من عدوى أو عدوان من قبل مجتمعات النصارى الأوروبية، فلقد كان للمسلمين نزارة من سالف قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن ستتبعن سنن الذين من قبلكم، فلوا دخلوا جحر ضب لدخلتموه، وعيَّن الرسول — صلى الله عليه وسلم — اليهود والنصارى محذراً أن ذات الأدواء التى أصابتهم ستصيبنا نحن المسلمين.

ولكن داء الاشراك السياسي لن يبلغ من المسلمين ما بلغ من النصارى فقد استشرت أعراض اللادينية وأمراضها في مجتمعاتهم السياسية بوجه سافر ومدى واسع وأثر دائم، وهى إنما تفاقمت بسبب تبدل أصولهم الدينية والكتابية وغلبة البدع الوضعية في سنن تدينهم، فمهما كانت النصرانية الأولى تصديقاً لحكم التوراة، إذ لم يأت عيسى — عليه السلام — ولا الانجيل ناسخاً، بل جاء باعثاً للروح والمقاصد الدينية، وداعياً للرحمة وراء أشكال القانون الظاهرية الصارمة، ولكن المسيح — عليه السلام — لم يعش تجربة الحكم والدولة مما أتاح مجالا للتعاليم التى زعمت أنه نسخ القانون واقتصر بمجال روحى خارج مجال قيصر وسلطانه، ومما كان من تبنى الامبراطورية الرومانية للنصرانية بعد طول فتنة وحصار ومن انبساط سلطان الكنيسة على الحياة حتى غدت المسيحية نهجاً شاملاً ينتظم الحياة الخاصة والعامة و يظل العلم والفن والاقتصاد والسياسة. مهما كان من ذلك فان الواقع التاريخى لسيرة المسيح — عليه السلام — قد اقتصر على تجرتة في الدعوة دون الدولة، ثم جاءت المقولات المأثورة عنه تؤكد ما أوهمت به السيرة، وإذ لم تبقى من بعد شريعة تمثل حكم الله غدا كل تحكم على الناس ولو كان من قبل رجال الدين حكماً بشرياً بغير ضابط من الله، مدخل في سياق أنماط

الحكم البشرى الوضعى وتجرى عليه سنن العرضة لميول الهوى ولجمود التجارب ولصراعات تنافس الأهواء ودورة التقادم والتجديد. (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون)[التوبة ٣١]

وقع الصراع السياسي في تاريخ النصارى لآخر قرونهم الوسطى بين سلطان (الدين) الذى مثلته الكنيسة وسلطان الهوى الوضعى متمثلا في الملوك والثوار، ولم يكن ذلك في حقيقته تعارضاً بين مقتضى العقيدة وحاجات الحياة العامة، بل كان صراعاً بين مؤسستين تاريخيتين، بأشخاصهما وأهوائهما ومصالحهما، فقد كان الملوك والثوار ينشدون سلطة مطلقة على الأرض، يعربدون فيها بغير ضابط ولا رقيب وكان رجال الكنيسة أيضاً يحرصون على بسط سلطان مطلق على الناس بغير حدود، وكما تجنح شهوة المال الى الاستكثار والخلود تجنح شهوة السلطة السياسية الى الاطلاق وتتمرد من ثم على كل شرك منافس أو حد ضابط، وتشير تجارب الانسان كلها الى ميل القائمين بأمر السلطة السياسية الى الطغيان، فتراهم لا يقبلون التنازل عن جزء منها عن طواعية إلا من أسلم نفسه لله وجعل هواه تبعاً لأمره وطمعاً في دار الخلود لدى ربه. فمن هذا الخلق البشرى الغالب حدثت المجانبة في تاريخ الحياة النصرانية بين (سيف الملك الأرضى) وسيف الله كما يقولون بل إن طرف الصراع الذى يمثله ملوك الأرض كان يتقوى بالحجة الدينية ذاتها فيدعون لأنفسهم حقاً إلهياً مطلقاً في الملك يوهمون أن الله قد فوض إليهم من بين سائر العباد ولاية السلطة المطلقة على الأمور فهم ظل الله في الأرض، حتى إذا غلبوا أهل الدين استغنوا عن الحجة الدينية في دعايتهم وأسندوا مصدر حقهم الى الطبيعة، وتبعهم على ذلك الثوار الشعبيون إذ تمسحوا بمسوح الدين لمباركة ثورتهم ثم عولوا على حقهم الطبيعي حتى انتهوا الى طلاقة الارادة الوجودية للانسان.

أما الكنيسة ـ الطرف الآخر للصراع ـ فكانت تدعى سلطاناً روحياً مطلقاً وتحتكر في الدين العلم المعصوم والشفاعة والغفران والرحمة والغضب ثم تحاول تكريس ذلك السلطان المحيط بولاية على مال المؤمنين بفرض الصدقات والعشور والاتاوات وولاية أحوالهم وعلاقاتهم بولاية قضائية تمارسها محاكم الكنيسة بمقتضى القانون الكنسى، وكانت الكنيسة تقوم بدور بارز في تعبئة الشعب للمهمات السياسية الخطيرة، وألبست الحرب التى دعت إليها لبوساً دينياً فأسمتها الحروب المقدسة والحروب الصليبية. كان كل ذلك جهراً من الكنيسة لاحتواء الحياة السياسية والاقتصادية والقضائية مما يستهدف الاحاطة بالحياة كلها ومن ثم حيازة السلطة المطلقة.

وكان ملوك أوربا لذلك العهد يخوضون من جانب آخر صرعاً في سبيل استجماع السلطة ضد السادة الاقطاعيين الذين كانوا يحوزون أقاليم مي أرض الدولة يمتلكونها بما فيها من الثروات ومن عليها من الناس، وكان هم الملوك أن يحيطوا بهذه الكيانات الجزئية وأن يتأسس لهم سلطان مركزى واحد حتى لا تتبعثر السلطة بين ذوى السلطان المحلى وبين (البابوية) والتى كانت تدعى سلطاناً

دولياً من خلال الكنيسة الرومانية، فكان الملوك والثوار دعاة تأسيس حكم فوقى وطنى مستقل عن الكيان العالمى الأكبر، ولم يكن تقدير المصالح الموضوعية في ذلك الاستقلال بمنأى عن هوى الشهوة في حكم مطلق من كل قيد خارجي.

فلم يكن ذلك النزاع السياسي في جوهره حول أصول الدين كلها، بل نشأ خاصة عن نزوع الأهواء السياسية نحو التمرد على ضوابط العبادة لله في شئون الحياة العامة، وهذه آفة في التدين تصيب الانسان بالاشراك السياسي وتغريه بالتعبد لهواه في الأمر السياسي و بالجنوح للعلو والاستكبار وتخدم من هذا الجانب وحدة حياته العابدة وتوحيده لله المعبود، ثم إن ذلك النزاع في خصوص البيئة النصرانية انتهى بسبب غياب الشريعة الموحاة الى تنازع بين كنيسة تبغى الملك تشبه الى الدين وتضفى على سلطانها الوضعى حجز الدين، وسلطة ملكية أو شعبية تريد أن تقوم بسلطانها هى في وجه الكنيسة ولا تحتاج لأن تنكر أصل بل قد تلجأ الى ذات حجة الدين لتقوية موقفها، فالثوار الذين خاضوا غمار الثورة الفرنسية ضد رجال الدين كانوا أيضاً على شيء من التدين، بل حاولوا أن يؤسسوا لهم ديناً ثورياً جمهورياً جديداً برموزه وشعائره وأعياده. ومن جانب آخر قامت الكنيسة ببناء نظامها على قرار الدولة المعروفة برموزها وأشكالها، فالبابا يمثل الامبراطور صاحب السيادة الشاملة العليا والكلمة المعصومة المطلقة، والقساوسة المحليون قاموا كأنهم سادة الاقطاعيات.

ومهما كان فقد انتهى تاريخ الصراع السياسي الى انتصار الملوك والثوار على رجال الدين والكنيسة، ومن بعد التحرر من قيد النظم والسلطات الكنيسية تخلصت السياسة من اعتبار الاخلاف الدينية ومن الاحتجاج بحجة الدين، إلا ما بقى من نفوذ لرجال الدين في المجتمع يمكنهم من التأثير على الجمهور المؤمن ومن ثم على حركة السياسة، لا سيما بعد أن أصبحت السياسة (ديمقراطية) تتفاعل فيها الجماهير، وغدت القرارات السياسية لا تتم فقط عن إستقلال عن الدين بل ترتد على التقاليد الاجتماعية بالتشريعات والسياسات المناقضة لهدى التاريخ الدينى. وتبدو الكنيسة في المجتمعات الكاثوليكية الى يومنا هذا جهة ضغط سياسي خفى أو سافر وتضطر أحياناً الى خوض معارك سياسية مباشرة في وجه تشريعات الطلاق والاجهاض ونحو ذلك.

ولئن تدارك الغربيون شيئا من شر ذلك الطاغوت السياسي الذى غدا مطلقاً بالتحرر من الدين، بنظريات مثل العقد الاجتماعى، الحقوق الطبيعية للانسان وحكم الدستور والقانون، فان تلك النظريات قد استمدت بعض روح التقدير للانسان وللشرعية من أثر القيم الدينية والتراث الذى يمثلها. أما فيما وراء هذا الأثر ـ غير المباشر للدين ـ في الايحاء الثقافى ببعض القيم الانسانية في الحكم وفي الضغط السياسي للمحافظة على بعض سنن التراث، فقد مرقت السياسة من الدين وما تنفك ممعنة في هذا الاتجاه الى يومنا الحاضر، اذ نسمع كل يوم بتلاشى ما بقى من المظاهر المعزولة للتاريخ المنصرم. نقضاً لوفاق قديم بين الدولة والكنيسة في التعليم الدينى أو في دعم الكنيسة أو

في استبقاء رموز دينية أو نحو ذلك.

والسبب الثاني ــ من بعد ذلك الصراع ــ لاستشراء العلمانية في التجربة الغربية المسيحية، هو حدة العصبية والشقاق الديني التي أوقعت في النفس الأوروبية قناعة بمغبة الخوض في شئون السياسة التقديرية الخلافية بروح من تلك العصبية الدينية. فمن أمراض المؤمنين الى جانب الغفلة والتسيب واتباع الشهوات أن يتنطعوا في الخلاف وتأخذهم حمية التعصب للمذهب إذ يصور لهم الحق في كل شأن مطلقاً واحداً ــ هو ما عندهم ــ من دون سائر الناس. واحتد هذا المرض بالنصارى إذ عطلوا الشرع الذي تتوافر به معايير منضبطة يمكن أن يرد إليها الخلاف فينحسم على وجه قطعي لا يتأتى من مجرد الاتفاق على القيم والمبادئ الكلية أو الوفاق بروح الأخوة في الملة. (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم، فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)[المائدة ١٤].

وهكذا اشتد غلو الصراع والبغضاء بين الفرق والطوائف المسيحية حتى خربوا الحياة السياسية بالصراعات والفتن والحروب، فقد كانت أدنى مناظرة في قضية فرعية مهما دقت حرية بأن تثير نزاعاً واحتراباً بين الكاثوليك والبروتستانت أو بين هؤلاء واليهود، ومعلوم من التاريخ السياسي الأوروبي ما وقع من الحروب الدينية بين الطوائف وما جرت إليه من الفتن والاضطهاد والهجرة وما وقع على اليهود من التضييق والحرمان وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة والاتهام والاخراج. (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا وهم خائفين لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم)[البقرة ١١٣،١١٤].

وكان عاقبة ذلك كله أن كره الناس كل مورد للدين في الحيا العامة خشية أن يضطرب أمنها وتفسد وحدة نظامها، ولذلك يئسوا من إظهار الدين في الحياة العامة وحرصوا أن يخلصوها من ورطة الصراعات بعزل الدين الذي يغرى بدواعي التعصب. وآثروا أن تؤسس الموالاة السياسية على المواطنة الطبيعية ثم تدور المناظرات في شئون الوطن العامة وتتفاعل الآراء عفواً في العلاقات السياسية، و يصبح الخلاف في الشأن العام خلافاً متقبلا، يتحاور فيه الناس إيماناً بالديمقراطية معياراً للحق الغالب و يتسامحون إيماناً بنسبية الحق التي أشاعتها مذاهب الفكر الحر. ولئلا يبلغ التوتر الديني بين الملة الغالبة والملة الأقل مدى يهدد سلام الوطن ووحدته، كان السبيل الى تجاوز التوتر في الحياة الوطنية بتجاوز الدين كله في ذلك المجال والتعويل في الولاء للوطن على المواطنة بصرف النظر عن الملة، وفي تصريف شئون الوطن بغلبة الآراء لا بحق مصادرها الدينية المختلف عليها، فكان أن خرج الدين من الحياة العامة بدافع من الحرص على إحتواء الخلافات السياسية.

العلة الثالثة التي مكنت للمذهب السياسي

اللاديني في أوروبا النصرانية هو جمود فقه التدين، وهذه ظاهرة اشتدت بوجه خاص في آخر القرون الوسطى الأوروبية. وفي تاريخ كل ملة دينية أن يتفقه الناس في الدين ليرشحوا معانية و يتبنوا الأشكال التي تمكنهم من التعبير العملي عن تلك المعاني ومن تنزيلها على ظروفهم المعينة. ولكن الشروح الفقهية والأشكال التطبيقية التي تمثل فهم جيل معين للدين ــ ومن طول تلبسها بذلك الدين تكتسب وقار الدين ذاته و يضفى عليها ثبات الدين وإطلاقه، هكذا يجنح الشكل التطبيقي المخصوص للدين الاطار التاريخي المعين الذي نشأ فيه، فاذا جالت الظروف وتطورت الحياة بأوسع مما تستوعبه أطر التراث الديني المعروف، نشأ فراغ ديني في تلك الجوانب المتطورة المستجدة، فاذا لم يتهيأ لفقه الدين أن يتطور و يتسع أيضاً، التمس الناس بالضرورة أفكاراً وضعية وأنماطاً من الحياة لا تدين فيها، و يتشكل بذلك كسب تاريخي جديد، خارج أطر الدين، و يتعاظم ذلك الكسب مع تطور التجربة حتى يمثل تحدياً للتراث الديني المتقادم. ذلك ما جرى في أوروبا إذ لم يواكب الفقه الكنسي أو التطبيق الديني تطورات الحياة ليعبر عن مقتضى الدين المتجدد، وفاء بكل حاجات الحياة الحادثة، بل انحسر عنهاوتقفا نزعه راجعة الى الماضي تعيق نهضة الحياة وتقدمها. و يتشعب الجمود الذي أصاب الفقه التدين في تجربة النصارى، الى جانب ما يتعلق بجمود أصاب فقه تكاليف والأحكام الدينية وجانب آخر متعلق بالفقه الديني للطبيعة.

أما ما يتعلق بفقه الأحكام فان تطور الحياة الأوروبية أخرج جلها من نطاق الدين الموروث، فلقد تطور الاقتصاد من إقتصاد زراعي إقطاعي جامد العلاقات الى إقتصاد تجاري صناعي متحرر محلياً استعماري دولياً. ولم يكن هدى التعاليم الدينية المناسبة للاقتصاد الاقطاعي ليتكيف بما يناسب الجديد، سواء من حيث أشكال المعاملات ونظمها أو من حيث النيات والمقاصد، وتطورت الحياة الاجتماعية وتطورت معها علوم الاجتماع وحاجات نظام الأسرة والجماعة ولم يستطع فقه التدين أن يستوعب شيئاً من ذلك في إطاره.

وأسوأ من كل ذلك جمود الفقه بمعناه الديني الواسع، أي فقه الوجود الشامل إذ جمدت على نظريات علمية وضعية تقليدية، تلبست بالتراث والنصوص الدينية، وجازت باعتبارها جزءاً من العقيدة، حتى جاء العلماء الطبيعيون فأثبتوا بالدليل العلمي والبرهان التجريبي بطلانها وخطأها. فكان الصراع على نظريات خلق الانسان وعمر الأرض وكرويتها، وأنكر على علماء الطبيعة باعتبارهم خوارج على الدين وقائلين بالكفر كما حدث مع جاليلو وغيره لكن الحق العلمي الأبلج ظهر على ترهات الاعتقاد الزائفة، سوى أن الأوروبيين اعتبروا بتلك التجربة وأيقنوا أن أفضل طريقة يتقدم بها فقه الأحكام الاجتماعية والطبيعية هو أن يعزل الدين باعتقاداته الصلبة المتنطعة بعيداً عن مسرح الفكر حتى ينمو العلم موضوعياً حراً ينطلق حقه بغير تحفظ.وليعبر باطله بغير تصلب.

والعلة الأخيرة من علل التدين الأوروبي في آخر القرون الوسطى، هوإنحياز الدين في فئة

خاصة من دون جمهور المؤمنين، فقام رجال الدين أى أصحاب الكنيسة ــ يستأثرون بالقداسة و يتسترون بالعلم المنقول، بينما قعد بقية الناس جهالا يلقى إليهم أحبارهم ورهبانهم بالعلم الدينى في كل مسألة. وأصبح لرجال الكهنوت ولاية خاصة في ممارسة الشعائر وفي التوسط والشفاعة بين العبد والرب حتى غدا الدين إحتكاراً للكنيسة ورجالها، وانقسمت أمة المؤمنين الى طبقة رجال الدين وطبقة التبع العوام الذين ليس لهم في التدين أصالة ولا بالله صلة توحيدية. وتكاثر مع الزمن سواد العوام بالطبع وقلت فئة محترفه الدين، وانعزلت الكثرة الغالبة عن الدين ومؤسساته فلم تعد تتحمس له أو تنصره إذا استنصرها في صراعه مع المؤسسات الأخرى. وأخيراً وجد العامة أنفسهم أقرب الى صف السلطان السياسي من صفوف رجال الكنيسة التى كانت تمثل حزب الدين، وذهب الاتجاه اللادينى بالسواد الأعظم، وانتهى الصراع بهزيمة الكنيسة وخروج الحياة العامة من الدين وسادت اللادينية الحديثة.

هذه جملة من الأمراض الدينية الأساسية التى انتهت بأوروبا النصرانية الى تيارات الفكر الليبرالى الحر، ليتم تحرير الفكر من جمود الدين وتعصب الكنيسة ابتداء، وليتحرر من بعد ذلك العلم من جهالة النظريات الخاطئة، ولتتحرر السلطة السياسية من الهيمنة الدولية والمحلية لرجال الكنيسة، و يتجاوز المجتمع الشقاق والاحتراب الذى أحدثه الخلاف الدينى والتباين المذهبى وتتأكد المساواة الكاملة بين المواطنين حتى لا يكون هنالك امتياز لملة أو لطبقة على الأخرى.

السوق الأوروبية المشتركة
وأزمة
المغرب العربي الكبير

تم قبول اسبانيا والبرتغال كعضوين رسميين وكاملين في السوق الأوروبية المشتركة مما دفع عدد الأعضاء الى ١٢ عضواً، وستصبح هذه العضوية سارية المفعول بداية من يناير القادم ١٩٨٦،وإن كانت قد بدأت تأخذ شكلها التطبيقي منذ ٢٦ مارس الماضي. و يأتي انضمام هاتين الدولتين الى السوق الأوروبية إثر مباحثات طويلة ومفاوضات صعبة بين الأطراف المعنية ومراقبة حذرة من دول المغرب العربي الكبير. فان كانت نتيجة المفاوضات مرضية وسارة للعضوين الجديدين فان حكومات المغرب دول المغرب العربي لم تخفي تخوفاتها من نتائج هذا الانضمام ومدى انعكاساته على الحركة التجارية (التصدير) بين هذه الدول والسوق الأوروبية، وتطمح دول المغرب العربي في هذا المجال الى بعث حوار ومفاوضات مع السوق لحماية ميزانها التجاري من الفتور.

تعتبر دول المغرب العربي الممول الرئيسي للسوق في مجال المنتوجات الفلاحية وخاصة زيت الزيتون، والتمور والأسماك، وكذلك الخمور، الى جانب المنتوجات النسيجية، إلا أن دخول اليونان في السنوات الأخيرة ثم انضمام اسبانيا والبرتغال سوف يؤدى الى اكتفاء ذاتي لدى السوق الأوروبية في أغلب هذه المواد بل وربما زيادة عن الحاجة المحلية، فالزيوت التونسية التى تصدر الى الخارج بكمية ٧٠ ألف طن سنوياً، منها ٧٥٪ تذهب الى السوق الأوروبية، مهددة بتعويض الزيوت الاسبانية ذات الجودة الرفيعة. كذلك الصادرات الغذائية المغربية الى السوق والتي تقدر بثلثي مجمل صادراتها تبقى مهددة بالتقلص.

إن هذا التغيير المفاجئ باعتبار المخططات الاقتصادية البعيدة المدى ــ والغير المتوقع على مستوى العلاقات التجارية سوف تكون له انعكاسات خطيرة على الميزان التجارى لدول

المغرب العربي ــ وخاصة تونس والمغرب ــ إذا لم تبادر الدول الأوروبية بتقديم الضمانات لحفظ العلاقة التجارية التقليدية القائمة بينها، وفي هذا النطاق يتوقع وصول ممثلين رسميين عن دول المغرب العربي لعواصم أهم الدول الأوروبية لمناقشة هذه المواضيع وعقد اتفاقيات جديدة. ولا شك أن الدول الأوروبية ستقترح على دول المغرب العربي ــ وقد حدث سابقاً كما سيأتي ــ توجيه سياستها الفلاحية في المسار الذي يضمن استمرار التصدير ولا تخفى خطورة مثل هذا المقترح وأثره في تكريس التبعية الاقتصادية للغرب، وفقدان التحكم والسيطرة على الاقتصاد الوطني على المدى البعيد، ولا يستبعد هنا تدخل بعض الهيئات الدولية لتفرض الحل الذي عادة ما يكون لصالح الدول الاستعمارية وعلى حساب المصالح العامة لشعوب دول العالم المستضعف. فلتونس مثلاً تجربة في هذا المضمار، فقد ذكرت صحيفة فاينانشل تايمز البريطانية الصادرة في شهر أكتوبر ٨٤، أن أكثر من مليون تونسي الذين يعيشون على مداخيل زيت الزيتون سوف يتضررون بشكل أو بآخر من جرَّاء التطورات الأخيرة في السوق الأوروبية، وتونس التي تعتبر من أكبر البلاد إنتاجاً لزيت الزيتون، تصدر ما مدخوله ٧٠ مليون دولار خاصة الى فرنسا وإيطاليا. وفي تونس توجد أكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ شجرة زيتون تغطي ثلث المساحة الصالحة للزراعة، إلا أن هذه الأشجار تستوجب نوعية خاصة من التربة، مما يستحيل بها تعويض أشجار الزيتون بأنواع أخرى من الشجر. وتكمن المشكلة في أن الحكومة التونسية استجابت لطلب البرنامج الغذائي العالمي للأمم المتحدة، وقامت خلال السبعينات بتشجيع ٨٠ ألف فلاح على الاهتمام بغراسة وزراعة الزيتون عوضاً عن القمح وغيره طمعاً في تنمية التصدير، رغم حاجة البلاد الداخلية الى القمح وبما أن شجر الزيتون يحتاج الى ١٥ سنة لكي ينمو و يبدأ في الاثمار فقد تكفلت الحكومة بتقديم القروض والمساعدات للفلاحين خلال هذه الفترة وذلك من الهبات التي يقدمها الصندوق الغذائي بالأمم المتحدة للحكومة. وقد صدر أول تقييم لهذا المشروع من البنك الدولى الذى وجه انتقاداً للحكومة التونسية والديوان القومي لزيت الزيتون الذى قام بتنفيذ المشروع بدون دراسة للسوق أو بحث عن أطراف مستوردة جديدة. ولا شك أن التغيير الأخير في السوق الأوروبية سوف يعمق أزمة الزيوت في تونس ويجعل الحكومة في مأزق لا تدرى كيف تتجاوزه.

من المشاكل التى ينتظر أن تنجز عن اتساع السوق الأوروبية المشتركة تضرر المخططات الاقتصادية لدول المغرب التى بنيت على أساس العلاقات التقليدية مع السوق، وكذلك تحول المئات من الفلاحين الصغار والعمال الى صف البطالة مما يزيد في حدة هذه الأزمة التى تعاني

منها الدول الثلاث. كما سيزداد العجز في الميزان التجارى مما سينعكس على السياسة الاقتصادية الداخلية فتحد أو تلغي التعويضات المخصصة للمواد المستوردة مما يسبب ارتفاع الأسعار وربما أحداثاً أخرى كثورتي الخبز التى شهدتها تونس والمغرب السنة الماضية.

إن المرحلة القادمة ستكون جد عسيرة على الاقتصاد المغربي مما حدا برئيس الوزراء التونسي محمد المزالى أن يقول في تصريح له لاذاعة فرنسا الدولية يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٨٣ ــ وذلك قبل التطورات الأخيرة التى شهدها السوق ــ «الكل يعلم أننا لا يمكن أن نحقق تنميتنا إذا لم نبع مصنوعات النسيج التى نصنعها بالتعاون مع بعضنا، إن المسألة تهم فرنسيين أقاموا مصانع في تونس»، ولا يُخفي رئيس الوزراء تخوفه من تفاقم هذه القضية عندما قال : «إذا يئست تونس حقاً من بيع ما تصنعه من مصنوعات النسيج أو ما تنتجه من زيت الزيتون فانه يتعين عليها أن تعيد تحديد علاقتها الاقتصادية مع الأطراف التى تتعامل معها وكل هذه المسائل ينبغي أن نتناقش فيها للاهتداء الى حل من الحلول، والسؤال المطروح هو هل يوجد جواب لهذه المسألة أم لا ؟ وهل يوجد حل ؟»

ومما يزيد الوضع الاقتصادي لدول المغرب تأزما تزامن هذه التطورات في السوق الأوروبية بتدهور الوضع الاقتصادى العالمى الذى يذهب ضحيته بالدرجة الأولى الدول الصغيرة، زد على ذلك عدم استقرار الدولار الذى ضاعف الديون الخارجية لدول المغرب، فقد ذكر أحد المختصين في وزارة المالية التونسية أن إرتفاع الدولار بنسبة ١٠٠ مليم (حوالى ١٣٪) يسبب زيادة في ديون الدولة بما قدرها ٢١ مليون دينار، مع العلم أن نسبة ارتفاع الدولار تجاوزت ال ١٥٪ سنة ١٩٨٤.

إن هذه الأزمة الاقتصادية التى تواجهها منطقة المغرب العربي نتيجة حتمية لطبيعة العلاقات الاقتصادية الظالمة القائمة بين الشمال والجنوب صورة واضحة لما كان ولا يزال يطمح الغرب أن يصل إليه من ربط إقتصاد دول العالم المستضعف باقتصاد الدول الغربية ليسلبها استقلالها تدريجياً. وقد أرسى الغرب في فترة استعماره المباشر القواعد الأساسية التى تضمن إستمرار التبعية والالحاق حيث دمَّر الاكتفاء الذاتي وفرض التجزئة أو التخصص في الانتاج كما أصَّل التبعية والاعتماد عليه، وقد سلك من أمسكوا بزمام السلطة بعد خروج المستعمر لجنوده نفس المسار الذى انتهجوه مما زاد في هذه التبعية وحدة الأزمة.

في بحث قيم له، عدَّد الدكتور عبد الله النفيسي مظاهرات التبعية الاقتصادية للعالم الرأسمالي في مؤشرات ثمان وهي :

١ ــ مؤشر أهمية الصادرات في الناتج المحلى.

٢ ــ مؤشر درجة الانكشاف الاقتصادى (والتي

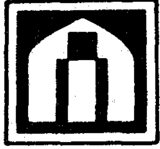
تتجاوز ال ١٥٠٪ في بعض الدول العربية).
٣ ــ مؤشر التركيز السلعي للصادرات.
٤ ــ مؤشر إعتماد إيرادات الدولة على سلعة التصدير الرئيسية.
٥ ــ مؤشر تصدير السلعة الرئيسية بشكلها الخام.
٦ ــ مؤشر التركيز الجغرافي للصادرات.
٧ ــ مؤشر التركيز الجغرافي للواردات.
٨ ــ مؤشر التبعية التكنولوجية.

إن لهذه التبعية الاقتصادية العديد من الانعكاسات السلبية والخطيرة والتى من أهمها أولا التبعية في اتخاذ القرار السياسي وضرب استقلاليته، ثانياً فرض التوصيات والأوامر الدولية من الهيئات الرسمية العالمية التى لا تنظر إلا لمصلحة الدول الكبرى وتحقق أهداف الرأسمالية العالمية التى ترمي الى ضرب إستقلال الدول المستضعفة، ويخص بالذكر هنا دور البنك الدولى وصندوق النقد العالمي في إملاء سياسات إقتصادية معينة كثيراً ما تتسبب في أزمات داخلية كما حصل مؤخراً في السودان وقبله في أمريكا اللاتينية ومصر التى شهدت أحداث ١٩ يناير الدامية نتيجة للترفيع في الأسعار الذى اشترطه البنك الدولي وصندوق النقد لتقديم القروض والمساعدات الخليجية والسعودية لمصر !!

إن الخطوة الأولى نحو الاستقلال الاقتصادى التام عن الغرب وعن الرأسمالية العالمية تكمن في إعداد تصور واضح عملي للاقتصاد المنشود الذى ينطلق من الأزمات العميقة التى يتخبط فيها و يعالجها و يوجد الحلول البديلة للخروج من الأزمة.

عارف..

المؤتمر العالمى حول تأثير القومية على الأمة



المعهد الاسلامى
لندن

١٢ ــ ١٥ ذو القعدة ١٤٠٥
٣١ تموز (يوليو)، ١ ــ ٣ آب (أغسطس)١٩٨٥

إن الافكار السياسية للمسلم هي في حالة تغيير. وإن إنفجار الأفكار الجديدة والخبرات ترفع بشكل مستمر الشعور السياسي للأمة الى مستوى رفيع، منذ الأيام الأولى للاسلام.وأن تثبيت هذه الأفكار في نموذج (وظيفي) جديد، سوف يشغل أحسن جزء للعقدين أو الثلاثة القادمة، وأن عملية تكوين نموذج جديد للفكرة السياسية للمسلم سوف تتأثر بعاملين متممين بعضهما البعض ــ هما سير الأحداث في إيران والهيجان الفكري للأمة الاسلامية ككل.

إن برنامج المعهد الاسلامي السنوي للمؤتمرات في لندن جاء كنتيجة للأحداث في إيران وكمحاولة لايجاد منبر حر ومفتوح لانعكاس الهيجان الفكري للأمة الاسلامية. ولحد الآن تم لنا عقد ثلاث مؤتمرات وهي : الحج (١٩٨٢)، والدولة والسياسات (١٩٨٣)، والثورة الاسلامية في إيران (١٩٨٤)، ولقد جاءت المرحلة هنا الآن بعدما بدأنا في إختيار بعض مصادر المفاهيم الرئيسية للفوضى التى عملت على تشويش فكرة وسلوك المسلم السياسية وخاصة خلال فترة السيطرة الغربية.وفي هذا المجال جاء الاختيار الأول والواضح وهو ــ القومية ــ.

ففي الوقت الحاضر الأمة الاسلامية هي في موقف مقسم سياسياً الى دول قومية وإن الاحساس السياسي للقومية نشأ لأول مرة في أوروبا وذلك ليعيد القوة والتأثير للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وبصورة خاصة للبابا ــ ففي دورها الأول طرحت بواسطة البروتستانية كحركة ضمن المسيحية، وقد انتهت القومية في أوروبا الى الحصول على السلطة العليا على المسيحية وعلى ولاءات الانسان الأخرى. ولقد اكتسبت القومية السيادة على الدول الأوروبية قبل أن تصبح قوى إستعمارية في بقية أنحاء العالم، وفي العالم الاسلامى نجحت القوى الاستعمارية في إيجاد نخب حاكمة قومية علمانية على النمط الغربي، واليوم فاننا نجد أن القوة السياسية في كل الدول القومية في العالم الاسلامى هي في أيادى مثل هذه النخب، ولكن في إيران فقط نجد قوة النخب القومية قد تكسرت واستبدل مكانها الدولة الاسلامية التي يقودها العلماء.أن السؤال الأكثر أهمية في وقتنا الحاضر هوعما إذا كانت التطورات المشابهة يمكن أن تحدث في بقية أجزاء الأمة الاسلامية ؟ويحتاج هذا السؤال الى دراسة مستفيضة من عدة جوانب.

عناوين عامة للمقالات والبحوث :

فيما يلي ملخص بسيط لعناوين الأبحاث والمقالات والتي في النية تقديمها في هذا المؤتمر :

١ ـ فكرة عامة، نظرية وتطبيق القومية واختبارها على ضوء القرآن الكريم وسنة الرسول محمد (صلى الله علية وسلم).

٢ ـ تاريخ القومية كمذهب سياسي، القومية نظرية سياسية غربية، القومية شراع لمرساة الثقافة والحضارة الغربية. . . .

٣ ـ نشوء الدول القومية، الأسس الفلسفية للدول القومية، القاعدة الاقليمية، جذور المجتمعات القبلية، مسألة (السيادة). . . .

٤ ـ عالمية الدول القومية كشكل بدائي للمنظمة السياسية، الدافع الأوروبي للاستحواذ الاستعماري، الصدام مع المجتمعات التقليدية وقوتها، بنية القوة في الدول المستعمرة، الاحتياج لمجرى تيار المصادر التقليدية للقوة والسلطة. . . .

٥ ـ القومية كأداة من أدوات السياسة الاستعمارية، دور القوى الأوروبية وقصدها في تقطيع وتفسيخ المجتمعات الاسلامية التقليدية، القومية كأداة تبشيرية مسيحية في أفريقيا، عدم استمرارية خلافة سوكوتو، الدول الأفريقية القومية، الشرق الأقصى والأجزاء الأخرى من العالم. . .

٦ ـ القومية في الدولة العثمانية، القوميات الأوروبية في الدولة العثمانية، دور القوى الأوروبية في تقطيع الدولة العثمانية، نهضة القومية في تركيا، الحركة القومية في شمال أفريقيا، مصر والأجزاء الأخرى من العالم العربي. . . .

٧ ـ القومية العربية، مصادر القومية العربية، المسيحية واليهودية والجذور الاستعمارية للقومية العربية، نشوء الدول القومية العربية، ضياع فلسطين، تكوين المنظمة العربية (جامعة الدول العربية)، تقييم الحركات القومية والقادة في الدول العربية. . . .

٨ ـ القومية والتنصيل، قدوم القومية الى الهند والشرق الأقصى، الاسلام إزاء (القومية) كمسألة مطروحة في الهند، خدعة الأممية في (أندونيسيا) و (ماليزيا)، أعظم الأحزاب (القومية) مثل الوفد، الاستقلال، منظمة المسلم، ماشومي وقياداتهم، دور الاستعمار الكبير للقومية، القيادة العسكرية كحارس أمين للقومية. . . .

٩ ـ القومية في فترة ما بعد السيطرة الاستعمارية، الدول القومية المسلمة، القومية والعلماء، محاولات التوفيق بين القومية والاسلام، استغلال علم البيان الاسلامي في الحركات القومية، الصراع مع الحركة الاسلامية، مشاكل الشرعية السياسية للدول القومية الاسلامية، الصراع القومي مع الثقافة السياسية للجماهير المسلمة.

١٠ـ محاولات لصياغة (التضامن الاسلامي) بين الدول القومية، نشوء منظمة المؤتمر الاسلامي، دور المنظمات أمثال ـ مؤتمر العالم الاسلامي، رابطة العالم الاسلامي، وتكاثر المنظمات (الاسلامية) لدعم الأنظمة والدول القومية في الأمة. . . .

١١ـ الحركة الاسلامية والقومية، (الأحزاب) الاسلامية والقومية، دور القومية في العمل على تقسيم الحركة الاسلامية العالمية، أفكار لرجال

مثل سيد أحمد خان، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا، محمد إقبال، الامام الخميني. . .

١٢ـ القومية كأداة للثقافة الامبريالية والنشاط التبشيرى، المنح الدراسية من قبل المستشرقين، مجموعة الأعلام، القومية والتحررية، الديمقراطية، الرأسمالية، الصهيونية، الماركسية. . . .

١٣ـ المستقبل، البعد المنظور للدول القومية المسلمة، إنهزامية حركات التحرر القومية مثل (منظمة التحرير الفلسطينية)، إنبثاق الحركة الاسلامية العالمية الجديدة. . . .

هذا وربما هنالك بعض العناوين للموضوعات التي لم تذكر هنا، فاذا كان لديكم موضوع آخر غير مذكور هنا و ينبغي أن يكون ضمن البنية العامة للمؤتمر ـ فيرجي التفضل في الكتابة فيه ـ.

المقالات والبحوث باللغتين العربية والانجليزية، وفي حدود ٥٠ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة وبأسطر متفارقة، وتكتب على جانب واحد من الصفحة من ورق طباعة مقياس ٤١ . يجب أن تصل البحوث والمقالات الى الدكتور كليم صديقي ـ مدير المعهد الاسلامي ـ في أوائل حزيران (١/ ٦/ ١٩٨٥)، أما الدعوات الى المؤتمر بضمنها تسهيلات السفر فسوف تصدر بعد وصول الدراسات.

المعهد الاسلامي

الوحدة الإسلامية

السيد محمد رشيد رضا

(فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هدٰهم الله وأولئك هم أولو الألبٰب) — سورة الزمر ٣٩ : ١٨ —.

اللهم اجعلنا من عبادك الهادين المهديين، واجعلنا من الأئمة الوارثين، الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، وصل وسلم اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بهديهم الى يوم الدين.

و بعد، فان الله تعالى جلت حكمته، وعلت كلمته، ووسعت كل شي رحمته، قد أرسل الرسل، وأنزل الكتب لهداية الناس وإصلاح شأنهم في معاشهم، وإعدادهم للسعادة في معادهم، وقد مضت سنته في البشر أن يرتقي نوعهم بالتدريج كما يرتقي أفرادهم من طفولية الى تمييز رشد وعقل، لذلك جعل خطاب الرسل لهم في كل طور على حسب استعدادهم، فخاطبهم طوراً بما يناسب مدركات الحس، وطوراً بما يناسب وجدان النفس، وحملهم أولاً على الطاعة بالقهر والالزام، وجذبهم إليها ثانياً بالاقناع وضرب الأمثال، حتى إذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان، واستعدوا لتحكيم العقل في مدركات الحس والوجدان، بعث فيهم خاتم النبيين والمرسلين، الذى جعل الفكر والنظر أساس التفقه في الدين، نبي جاء بالبينات والهدى، وكتاب نهى عن التقليد واتباع الهوى، وعظم شأن العقل وجعله هو المخاطب بفهم النقل، فامتاز دينه على سائر الأديان، بأنه دين الحجة والبرهان، الناعي على المقلدين ومتبعي الأوهام والظنون بأنهم (لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) بل وصفهم بمثل قوله (صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون) — البقرة ١٨ — وقوله (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) — الأعراف ١٧٩.

كتاب احتج على صحة العقائد بآيات الله في

الأنفس والآفاق، و بين فوائد ما دعا إليه من العبادة ومكارم الأخلاق، وأشار الى مصالح الناس فيما شرعه من الأحكام والسنن، ونبه على مفاسد ما حرمه عليهم من المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن، فهدى الناس بذلك و بدعوتهم الى أن يكونوا على بصيرة في دينهم وعلى بينة منه، ويجعله دين الفطرة، و ينفي الحرج والاعنات عنهم فيه، ويجعله يسراً لا عسراً و بالاكتفاء منهم بما يستطيعون منه، و بتقرير غناه سبحانه عن العالمين — هداهم بذلك كله الى أنه ينبغي لهم، بل يجب عليهم أن يفقهوا حكمة جميع ما خوطبوا به، ووجه كونه مصلحة لهم، ووسيلة لسعادتهم وكون تركه مدرجة لفسادهم وشقوتهم، (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)[يوسف :١٠٨] ووصف من اتبعه بقوله (والذين إذا ذكِّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً)[الفرقان : ٧٣].

إن ديناً هذا شأنه يعلو عن أن يكون مُهباً للأهواء أو مثاراً لاختلاف الآراء، أو مجالاً لتحزب العلماء، أو آلة لسلطان الرؤساء، فهو الحنيفية السمحة ليلها كنهارها كما ورد عمن جاء به صلى الله عليه وسلم (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)[الأنعام :١٥٣]، ثم قال في هذه السورة (إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شي إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون :١٥٩)وقال في سورة آل عمران (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا :١٠٣) ثم قال بعد آية أخرى منها (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم :١٠٥)وقال عزوجل في سورة الروم (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون : ٣٠ — ٣٢).

وثم آيات أخرى في التنفير عن التفرق والاختلاف.

ماذا كان من أمر الذين ينتسبون الى الدين؟ هل ظلوا على البصيرة في دينهم أم تركوها الى التقليد واتباع الآراء، وخروا عليها صماً وعمياناً؟ هل استقاموا على الصراط المستقيم، سبيل الله، أم اتبعوا السبل الكثيرة فتفرقت بهم عن سبيله؟ هل ظلوا أمة واحدة محافظة على أخوة الدين أم فرقوا دينهم وصاروا شيعاً كل شيعة تعادي الأخرى لمخالفتها إياها في المذهب ومباينتها فيما أحدثت من المشرب؟

إذا كان الخلاف طبيعياً في البشر وكان أقوى سائق لهلاك الأمم، إذا تمادت شيع الأمة فيه ولم تعالجه بعلاجه، فلماذا لا يرجع المسلمون في كل خلاف يقع الى علاجه الذى بينه الله تعالى في قوله (فان تنازعتم في شي فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن

تأو يلا)[النساء :٥٩].

تمزق شمل المسلمين بتنازعهم السياسي الذى تبعه التنازع الديني، فتفرقوا شيعاً، كل شيعة تنتحل مذهباً تتخذه حجة لنفسها على سائر المسلمين، فكان ذلك حجاباً دون رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بتحكيم الكتاب والسنة فيه، إذ جعلوا مذاهبهم أصولا يرجعون إليها آيات الكتاب وأخبار السنة بالتأو يل وغير التأو يل (كدعوى النسخ) فعلوا ذلك لتقوية السياسة بالدين، فأضاعوا السياسة والدين، وردوا الأمة أسفل سافلين، فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

أما خسرانهم للدنيا بسؤ السياسة، فبما أضاعوا من سياستهم وسلطانهم فان معظم شعوبهم و بلادهم قد استولى عليها الأجانب وما بقي منها في أيديهم قد أوغلت السلطة الأجنبية في أحشائه، وهي تهدده بسلب دمائه، وأما خسرانهم الآخرة فبما ابتدع جماهيرهم في الدنيا، واتبعوا غير سبيل المؤمنين الأولين، وهي سبيل الله التي من اتبعها كان على بصيرة من الله و برهان، وما هي إلا هداية هذا القرآن، الذي وصفهم بما لا ينطبق على جماهير المتأخرين المختلفين، ووعدهم فآتهم بطاعتهم ما سلبه بعدهم من المخالفين.

اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعة والخوارج بل بين المنتسبين الى السنة بعضهم مع بعض : بين الأشاعرة والحنابلة، بين الحنفية والشافعية : بين الشافعية والحنبلية... إنك إن تقرأ تجد الجواب عما سألتك عنه، ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية والحنفية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم، تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعاً لم يلتئم من بعده و يغد كما كان، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج يأجوج ومأجوج و يقول : إنهم هم التتار.

ما لك ولمعرفة حال تفرق المسلمين من كتب التاريخ، أو من كتب المذاهب، أدر طرفك في بلادهم اليوم، وانظر حال أهل هذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير، تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا إيمان لهم ولا أيمان، إلا من حفظ الله من أفراد متفرقين يتحملون الأذى في سبيل جمع الكلمة وإزالة الخلاف، وإعادة الأخوة الدينية الى ما كانت عليه في أول نشأة الدين، أو الى قريب من ذلك بل تجد الحنفي في كثير من البلاد لا يصلى مع الشافعي، بل نجد من أسباب الخلاف والعداء الشديد كون بعضهم يجهر بآمين وراء الامام و بعضهم لا يجهر بها أو لا يقولها، وكون بعضهم يرفع إصبعه عند الاستثناء في شهادة التوحيد و بعضهم لا يرفعه، مثل هذا الخلاف مما يجعل في بعض بلاد الهند فارقاً بين الحق والباطل و بين الهدى والضلال، ولا غرو فهم عيال على الكتب التي تبحث في كفر من قال: «أنا مؤمن إن شاء الله» كالسلفية والأشاعرة، وتقول يجوز نكاح بنت الشافعي قياساً على الذمية (أفلم يدبروا

القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين)[المؤمنون :٦٨] ألم يعدهم الله بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وأن يبدلهم بعد خوفهم أمناً، وأن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلا؟ بلى ولن يخلف الله وعده وإنما هم المخلفون (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)[هود :١١٧].

نعم إنه لم يزل في هذه الأمة قوم ظاهرون على الحق كما ورد الوعد في الحديث، ولكن هؤلاء لقلتهم أمسوا غرباء، كما جاء فى حديث آخر، وأي غربة من غربة من يوصفون بالكفر والزندقة لأنهم يقولون بوجوب اهتداء المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم؟ ألم يكن في بني إسرائيل أمة يهدون بالحق و به يعدلون إذ وصفهم بما وصفهم به من الاعراض عن كتابهم وتحريفه، وإذ أحل بهم ما أحل من عذاب السبي والاذلال، وإزالة الاستقلال؟ بلى ولكن كان هؤلاء المحقون قليلين فليس لهم أمر يطاع، ولا هدى يتبع، فلا أثر لهم في الأمة فكأنهم ليسوا منها.

ضرورة الوحدة وأهمية التميز

الحمد لله حمداً يوافي نعمه و يكافئ مزيده والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إخواني في الله المشرفين علي مجلة «الطليعة الاسلامية» السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

أما بعد..

يسرني جداً أن أبلغكم تحياتي وتحيات إخواني لكم كمشرفين على إخراج مجلتنا الاسلامية، وللمجلة كصوت من أصوات الدعوة الى الوحدة الاسلامية ونبذ التفرقة والخلافات بين الأشقاء في الدين والمصير الواحد، وما يثلج صدرى و ينفث همومي ومصائبي ماوجدته في «الطليعة الاسلامية» من مواضيع قيّمة، في مختلف مجالات المعرفة، تسعى لاعادة بناء الشخصية المسلمة، عقيدياً وفكرياً وثقافياً لتكون بذلك في مستوى التحديات المتعاظمة مع تطور الحياة المعاصرة.

ولا شك كما تدرون أن غيبة الاسلام، التي دامت لقرون عديدة، عن حياة المسلمين وانفلات علمائنا ومفكرينا على تقليد المذاهب في الفقه والفكر وعلوم الكلام والجدل السقيم، أديا الى حالة من الجمود والجهل وتفشى البدع والخرافات والأباطيل، كانت بمثابة أرض خصبة لماأصابنا من غزو فكرى وفساد خلقى.. وأشد ما أعجبني تفسير هذه الظاهرة المتميزة فينا، قول المفكر الاسلامي مالك بن نبي: «إنني لا أؤمن بذلك الدين الكاذب الذى كان سائداً في الأوساط الاجتماعية المختلفة والذى هو ملكي عند الباشوات وأسيادهم، وقبلى بدوى عند الأمير العربي البربرى، وتنطع حبيس في وعاء التحلل المغلق في ظل رعاية المشايخ». أو كما يسميه مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ «بالقابلية للاستعمار»، والذى يتمثل في شخص المسلم الذى لا يستخدم ماتحت يده من وسائل مادية ومعنوية، استخداماً مؤثراً فعالاً، ولا يبذل أقصى الجهد للرفع من مستوى حياته ومجتمعه، حتى بالوسائل العارضة، فهذه الحالة تعتبر علامة على مرض نفسى، أصاب أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا القرن المتميز أيضاً عن القرون السابقة حتى أصبح عجزاً كاملاً مميتاً داخل التركيبة الاجتماعية الاسلامية. ولكن هذا الفساد لم

يقتصر على الفرد فقط وإنما عم ليشمل المجتمع والأمة والدولة، فأصبحت المسؤولية جسيمة والمهمة عسيرة والطريق شائكة أمام رواد الحركة الاسلامية بشكل خاص، والجيل المسلم الغيور على دينه وعقيدته بشكل عام والذى سماه أحد الدعاة الكبار ـ «الجيل الرافض للخضوع والهيمنة والجمود»، وأوجب هذا إستنفار كل الجهود والطاقات المسلمة المخلصة للوقوف في وجه كل ألوان الفساد التى تعوق استمرارية الوجود الاسلامي.. «ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله...» ـ الصف ـ.

إن خطانا على هذا الطريق يجب أن تبدأ بتشخيص الداء ومعرفة الأسباب التي أدت إليه ثم وصف العلاج وطريقة إستعماله.. و بشيء من الرعاية والمتابعة يكون التدرج نحو الصحة والعافية والمعافاة.

مستعيناً بالله تعالي أرجو منكم من خلال مجلتكم ما يلي:

١ ـ الاستمرارية في نفس النهج والعمل الذى سطرتموه مستعينين بالله تعالى على شد أزركم وسداد خطاكم موقنين بأن الحق سوف يظهر آجلاً أو عاجلاً.

٢ ـ الاستمرار في إرسال مجلة «الطليعة الاسلامية» ـ التى أصبحت تملك مكاناً خاصاً في قلبي وفكرى ـ لي.

٣ ـ إبلاغ سلامي الحار والأخوى الى الأخ الكريم الأستاذ أحمد صادق على مقالاته حول مفهوم النخبة ومفهوم الطليعة الرسالية الذى أثر كثيرا على عقليتنا، وأصبح حلقات تلقي في مسجدنا، والرجاء الاستمرار.

٤ ـ رأيت من خلال إطلاعي على مجلتكم، أنكم لا تتطرقون كثيراً حول الأوضاع بالجزائر، وخاصة حول الاسلام والمسلمين بهذا البلد وعلمائه مع الاشارة بأن هناك صحوة إسلامية كبيرة في أوساط الشباب أذهلت الناس وشيبت الغرب لأنها تعتبر بحق ظاهرة غريبة جداً علماً بأن في الجزائر نقص كبير ـ أو بالأحرى غير موجود تماماً في بعض المدن ـ من حيث الدعاة والعلماء، إضافة الى هذا عدم وجود المعاهد الاسلامية والجامعات الاسلامية ـ ما عدا جامعة الأمير عبد القادر التى أفتتحت أخيراً ـ والضيق الذى يمارس على الاسلاميين من طرف السلطات العليا وأجهزة الاعلام التغريبية التى هي بعيدة تماماً عن الجو السائد حالياً بالجزائر، وكذلك ندرة الكتب الاسلامية المختلفة بالرغم من أيام معارض الكتب الاسلامية القصيرة، وغيرها من المعوقات الداخلية والخارجية، ولكن بحمد الله رجع الشباب الجزائرى الى أصله القوى النابع من إيمانه وفطرته. وإنني على إستعداد تام بأن أزودكم بالمقالات والمعلومات التى تهم الاسلام والمسلمين في الجزائر، والله الموفق.

٥ ـ أطرح على الأستاذ الكريم أحمد صادق بعض الأسئلة راجياً من الله عز وجل أن يجيبنا عليها نظراً لأهميتها:

ما رأيه في مسألة إلزامية الشورى للحاكم؟ وكيف يمكن حل أزمة الفقه السياسي الذي يعاني منها الاسلاميون؟ وماذا عن أصول فقه الدعوة؟ وهل يعتبر حجة يجب العمل بها على كل مسلم

؟وكيف نرد على من يقول بغير ذلك ؟أرجو من حضرتكم الجواب السريع.

وأخيراً أرجو المعذرة على طول رسالتي، وخير ما نختم به كلامنا قول الله عزَّ وجل في محكم تنزيله :

«ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين».

السيد شلي يوسف

بيان من حركة جند الاسلام المغربية

«ان فرعون علا في الأرض، وجعل أهلها شيعاً، يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم، و يستحيي نساءهم، إنه كان من المفسدين...»

لعل الاعتقال العشوائي يمثل أحد أبرز وجوه القمع الحسني المسلط على جماهيرنا. فالسجون المغربية لم تخل في يوم من الأ يام منذ الاستقلال الشكلي من المعتقلين...وقد برز هذا الجانب من فرعونية النظام بصورة أكثر بعد الانتفاضة الشعبية ليناير ٨٤،حيث وجدناه يعتقل الآلاف من أبناء الشعب، و يصدر في حقهم أحكاماً قاسية تمثلت في قرون من الزمن سجناً وعشرات الأحكام بالاعدام وملايين من الدراهم غرامات مالية !!!

ولم تتوقف حملة الاعتقالات والزيارات الليلية طيلة سنة ١٩٨٤ خاصة في صفوف الحركة الاسلامية، حيث يظل المعتقلون أياماً وأسابيع في ذمة التحقيق (وما أدراك ما التحقيق في سجون المغرب ؟)ليتم اطلاق سراحهم بعد إمضاءهم تعهداً بعدم النشاط والحركة.. .

وفي الذكرى الاولى للانتفاضة المباركة، وزع الاسلاميون بيانا تحية لأ رواح شهداء الانتفاضة ومعتقليها، وتنديداً بسياسة الحكم اللاشعبية، شن بعدها النظام حملة مسعورة وسط الطلبة باعتقالهم أو اختطافهم من بيوتهم، في الوقت الذى شهدت فيه سجون المغرب تصعيداً في المضايقات والاعتداءات على المواطنين والمعتقلين.

وهذه بعض أسماء المعتقلين :

* بن علي والحاج محمد ــ طالب ــ أعتقل يوم السبت ١٢/ ١/ ٨٥الرباط
* بن علي والحاج أحمد ــ مهندس ــ أعتقل يوم الا ثنين ١٤/ ١/ ٨٥الرباط
* مصطفي الطهراشلي ــ طالب معلم ــ ١٤/ ١/ ٨٥الرباط
* حيرور ميلالي ــ طالب بكلية الآداب ــ ١٤/ ١/ ٨٥الرباط
* جوالي أنوار ــ طالب بكلية الحقوق ــ ١٤/ ١/ ٨٥الرباط
* حسن الضاعيب ــ طالب بكلية عين الشق، بالدار البيضاء شعبة التاريخ ــ ٢٠/ ١/ ٨٥
* السومري محمد ــ طالب بكلية عين الشق، سنة رابعة شعبة اللغة العربية ــ ٢٢/ ١/ ٨٥

* السي بابا محمد ــ طالب بنفس الكلية ــ سنة ثانية شعبة اللغة العربية ــ ٢٣/ ١/ ٨٥
* جوهرى أحمد ــ طالب بكلية الآداب بالرباط، سنة ثالثة فلسفة، اعتقل من بيته بالحي الحسني بالدار البيضاء يوم ٢٠/ ١/ ٨٥
* عبد العزيز المسعودى ــ طالب بكلية الحقوق بالرباط ــ سنة رابعة قانون عام ــ ٢٤/ ١/ ٨٥
* خالد مصطفي ــ عضو تعاضدية كلية الحقوق بالرباط ــ أعتقل من داخل المؤسسة بتاريخ ٢٤/ ١/ ٨٥

ولا يزال الأخوة المسجونون يتعرضون داخل المعتقل للمضايقات ليس أقلها منع معتقلي سجن لعلو بالرباط من التطبيب حيث تدخلت الشرطة في عدة حالات لعرقلة السير العادى سواء في مستشفي البويبة أو سيدي فاتح بالرباط، أو العياشي بسلا، بل وصلت الشرطة الى منع الأخوة من حقهم في التطبيب منعاً كلياً («كريم عبد العزيز، عبد العالى الحاجي، الشرقاوي يوسف...»)

وفي اطار فضح القمع المسلط على جماهيرنا المغربية نثير انتباه الرأي العام الى الخروقات القانونية التى شاهدتها محاكمة أربعة أطفال تتراوح أعمارهم بين ١٦ ــ ١٧، كانوا رهن الاعتقال منذ ٦/ ٧/ ٨٤، وجرت محاكمتهم بالرباط يوم ٢٤/ ١/ ٨٥وصدر في حقهم حكماً نافذاً بالسجن ٥ سنوات، وهم : دحيح رضوان، كساف محمد، بلعمون عبد الحق، السعودي حميد (نجار وثلاثة تلاميذ) و بعد أنتهاء جلسة للنطق بالاحكام تم الاعتداء عليهم من طرف الشرطة داخل قاعة المحكمة !!!

كما نعلن استنكارنا للاجراء التعسفي الذى تعرض له معتقلي الرأي «المرزوقي والحجام محمد»حيث تم استقدامهما من سجن فاس (الأول كان محكوماً عليه بسنتين سجناً والثاني بسنة ونصف)بعد أن حوكما غيابياً ــ وهما في سجن فاس !. لدى محكمة الاستئناف بتطوان بنفس الملف الذى حوكما به في فاس، وصدر في حقهما حكماً نافذاً لمدة ٣٠ سنة !!

أننا نطالب بتوقيف هذه الاعتداءات وهذا القمع، ونؤكد من جهة ثانية أن هذه الأساليب الفرعونية لن تتمكن من حل التناقض الأساسي الموجود بين جماهيرنا المغربية المؤمنة والطغمة الفاسدة التي تحكمه...

أننا نعيش عصر إنتصار المستضعفين ضد الطواغيت، وها هى جماهيرنا المغربية وهي تعود لجذورها الاسلامية، وتكشف حقيقة النظام الدموية، تصعد من نضالها وتتقدم نحو مواقع أفضل وتتقدم في حل اشكالاتها التنظيمية والسياسية وتقدم القربان تلو القربان في طريق العزة والكرامة والحرية. . .

وإنه لجهاد حتى النصر باذن الله

«و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله»

باختصار ...

* في تقرير من العراق، قالت وكالة رويتر للأنباء : «لقد اعتبر سكان بغداد لفترة طويلة، مدينتهم محصنة ضد الهجمات الايرانية، وظنوا أن تفجير القنابل على أيدي الجماعات الموالية لايران قد أصبح من ذكريات الماضي ولكن خلال الهجوم الايراني الأخير، تغير كل هذا تماماً. ويقول مقيم أجنبي في بغداد أنه لم يشهد الروح المعنوية بهذا الانخفاض منذ بدأت الحرب، رغم أن البيانات الرسمية قد عمدت الى التهوين من حوادث الانفجارات الأخيرة لكن التوتر شديد في العاصمة».

ويضيف تقرير رويتر «أن الجنود يتمركزون في المواقع الاستراتيجية في جميع أنحاء المدينة، وحتى داخل البيوت أصبحت الحرب ضيفاً كريهاً، فالعائلات التى فقدت أحد الأقارب في المعارك ترفع أعلاماً سوداء في أفنية المنازل. ومنذ بدأ الهجوم الايراني الأخير، يعرض التلفزيون العراقي كل ليلة صور الضحايا التى تغطي أرض المركة مقربة من الجماجم المهشمة، والوجوه المتفحمة والأشلاء الممزقة. ومن المفترض أن هذه المشاهد تهدف الى إقناع المشاهدين العراقيين بأن الموقف الحربي لصالح العراق ولكن لهذه المشاهد آثار عكسية وسلبية تماماً على معنويات العراقيين».

* قامت القوات الصهيونية بفرض حظر التجول على مدينة خان يونس في قطاع غزة المحتل، ويأتي هذا القرار بعد قيام شابين فلسطينيين بطعن مستوطن صهيوني بسكين في سوق المدينة. كما أسرع قائد المنطقة العسكرية وعدد من ضباطه الى المدينة للاطلاع على الأوضاع فيها حيث يجرى البحث عن الشابين.

ومن جهة أخرى قامت القوات الصهيونية بعمليات بحث واسعة عن اثنين من المستوطنين اليهود من مستوطنة عيدن حيث إختفت آثارهما لدى خروجهما الى الحقول. وذكرت صحيفة «معاريف» الصهيونية أن حوادث إختفاء الجنود الاسرائيليين قد تكررت في الفترة الأخيرة.

* قامت مجموعة فدائية فلسطينية بتفجير مركز للتحقيق تابع للمخابرات الصهيونية في كريات ملاخي بضواحى مدينة القدس المحتلة. وقد ذكر الناطق العسكرى الفلسطيني الذى أذاع الخبر أن التفجير أدى الى إصابة العديد من أفراد مخابرات العدو، وأضاف أن ناطقاً عسكرياً صهيونياً قد إعترف بالعملية كما اعترف باصابة بعض حراس المركز والمركز ذاته بأضرار بالغة.

وقد ذكر الناطق العسكري الفلسطيني أن المجموعة الفدائية قد تمكنت من التحرك خارج منطقة العملية بنجاح. ومن جهة أخرى، أعلنت مصادر الشرطة الصهيونية أن شرطياً صهيونياً قد أصيب بسبب انفجار قنبلة وضعت بالقرب من مبنى في كريات مالاريم جنوبي تل أبيب.

* ذكرت مصادر مطلعة في جنوب أفريقيا أن العراق قد قام بعقد صفقة سلاح كبيرة مع حكومة جنوب أفريقيا العنصرية حيث يحصل الراق على مائة مدفع هاوتز ثقيل تنتجها مصانع (أرمسكور) الحكومية مقابل شحنات من النفط العراقي، وتبلغ قيمة الصفقة حوالي (٥٠٠) مليون دولار. وتأتي صفقة هذه المدافع وهي من طراز (ج ــ ٥) وعيار ١٥٥ ملم إنقاذاً لبرنامج التصنيع العسكري لجنوب أفريقيا والذى يعاني انكماشاً مالياً حيث ستتابع جنوب أفريقيا برنامج تطوير صناعة السلاح بالتعاون مع الولايات المتحدة،

وقد حملت هذه المدافع الى ميناء العقبة الأردني على أكثر من سفينة حيث سيتم نقلها براً من هناك الى العراق. وتعتبر هذه الصفقة خرقاً لقرارات الأمم الأمم المتحدة القاضية بفرض الحظر الاقتصادى على النظام العنصرى الفاشستي في جنوب أفريقيا.

* أصدرت جماعة حزب الله في لبنان والتى يقودها سماحة السيد محمد فضل الله بياناً نددت فيه بأعمال القصف الوحشي والاشتباكات العنيفة التى فجرتها ميليشيات حزب العمل التقدمي الاشتراكي (الدروز)، ومسلحو الوزير نبيه بري ضد ميليشيات «المرابطون» والمدنيين في بيروت الغربية، كما أدان البيان الهجمات وأعمال التطويق التي قامت بها تلك الأطراف ضد المخيمات الفلسطينية والتى تعتبر إمتداداً للأعمال الوحشية التي تشنها قوات سمير جعجع الصليبية ضد مدينة صيدا الباسلة وقراها ومخيماتها والتي تصب جميعاً في خطة العدو الصهيوني لتمزيق الشعب اللبناني المسلم وتدمير مقاومته الاسلامية الباسلة.

* صعد الثوار المسلمون في جنوب لبنان من عملياتهم البطولية ضد قوات الاحتلال الصهيوني المهزومة. وقد تركزت عمليات الثوار في منطقة صور على تجمعات قوات الاحتلال وقوات أنطون لحد العميلة حيث شنوا ضدهم عشرات العمليات الرائعة باعتراف الناطق العسكري للعدو، مما أحدث فيها خسائر فادحة تقدر بعشرات القتلى ومئات الجرحى، وقد زاد معدل العمليات اليومية في جنوب لبنان عن (١٢) عملية يومياً الأمر الذى أربك قوات الاحتلال وجعلها في الحضيض مادياً ومعنوياً. وفي منطقة صور قام الشاب الفلسطيني محمد أحمد الصاوي بهجوم استشهادى (إنتحارى) ضد قوافل العدو العسكرية وقد أدت الى سقوط العشرات من جنود العدو بين قتلى وجرحى. كما وزع الثوار منشوراً حذروا فيه عملاء العدو وتوعدوهم بالقتل والتنكيل وأهابوا بالمسلمين «أن يتذكروا إخوانهم المسلمين في السجون الاسرائيلية».

* لا زال مسلسل القمع والارهاب الذى تمارسه الحكومة المغربية مستمراً،فقد قامت السلطات مؤخراً بالقاء القبض على ٢٣ شاباً مسلماً في مدينة «بن سليمان»التى تبعد حوالى (٥٠) كيلومتراً عن الدار البيضاء وقد كان أولئك الشباب يقضون عطلة نهاية الأسبوع في إحدى الغابات المجاورة للمدينة كما اعتاد الناس في تلك المدينة.

ولقد أرسلت السلطات بأحد هؤلاء الشباب (شاب صغير)الى اصلاحية الأحداث، وقدمت ثمانية آخرون الى المحكمة حيث كانت وسيلة اثبات التهمة في هذه المحاكمة هى كتاب الله «القرآن» وشريطين دينيين للاستاذ محمد بشيرى وهما متداولان جداً بين الناس، كما أضيف الى لائحة التهم ضد الشباب تهمة «قيام الليل».

وقد حكم على الشباب المسلم بالسجن خمس سنوات، وهم الآن في السجن المركزى بالدار البيضاء حيث ينتظرون استئناف الحكم.

وتأتى هذه الحملة القمعية الجديدة بعد أن نجحت الحكومة في إسكات اليسار وإغرائه بالدخول في لعبة ديمقراطية الحسن الثاني، ووجهت الحكومة كل جهودها القمعية نحو الاسلاميين وعلى الخصوص الجماعة الاسلامية المغربية «أمرة الجماعة»ـ الأستاذ عبد السلام ياسين وإخوانه ـ كما تعرضت أيضاً جماعة «جند الله»المجاهدة الى نفس المسلسل من القمع والتوقيف والمحاكمات.و يعتقد الحكم أن استمراره في هذا القمع يحقق له الأمان بينما تتوالى عوامل الاضطراب والفتن والتهاوى أكثر فأكثر كلما استمر القهر والقمع ضد جماهير المسلمين في المغرب والتى يتحالف ضدها القصر والأحزاب المتردية وسماسرة النظام وسياسات البنك الدولى التجو يعية.

* فجرت صحيفة الواشنطن بوست يوم الأحد الماضي قضية تدخل وكالة الاستخبارات الأمريكية ال سي.آي.ايه.بأحداث لبنان الداخلية وقيامها بتدريب فرق إرهابية لتنفيذ عمليات الاغتيال والتفجير ضد المعادين لسياسة أميركا وإسرائيل معاً.

وقالت الواشنطن بوست : أن هذه الفرق أقدمت على تفجير السيارة المفخخة قرب منزل الشيخ محمد حسين فضل الله في الضاحية الجنوبية من بيروت التي ذهب ضحيتها عشرات القتلى والجرحى.

وكالة المخابرات الأمريكية قالت أن هذا التفجير تم من غير علمها لكنها لم تنف قيامها بتدريب هذه الجماعات على مواجهة القوى الاسلامية المعادية لأمريكا في لبنان.وتدمير مراكزها واغتيال قياداتها.ومن المعروف أن الشيخ محمد حسين فضل الله يعتبر هدفاً رئيسياً للمجموعات الارهابية التابعة للمخابرات المركزية الأمريكية في لبنان.

* كشفت مصادر مصرية وأمريكية عن عجز الحكومة المصرية عن الوفاء بالتزاماتها المالية تجاه دائنيها خصوصاً الديون العسكرية الأمريكية والتى يبلغ قسطها المستحق حوالي ٢٨٥ مليون دولاراً سنوياً، الأمر الذى جعل إدارة واشنطن تشكك في إمكانية تقديم المزيد من القروض لمصر.كما أنه من المحتمل أن يتم تطبيق قانون «بروك»الأمريكي والذى يقضى بوقف المساعدات الأمريكية عن الدول التي تعجز عن سداد متأخراتها ضمن المهلة المحددة.وقد أيد هذه الأخبار ما صرح به الرئيس المصرى لاحقاً عن معاناة بلاده من أزمة إقتصادية صعبة مشيراً الى ديون مصر العسكرية التى لم يكشف حجمها، فيما يقدر الخبراء ديون مصر الغير عسكرية بحوالي ١٧ مليار دولاراً.

* أصدر المكتب الاعلامي للاتجاه الاسلامي في السودان بياناً يكذب فيه التحريف الذي أوردته مجلة الوطن العربي ونقلته عنها وكالة الصحافة الفرنسية وبعض الوكالات الاخرى حول ما أدلى به الدكتور حسن الترابي من حديث للمجلة في حوار له معها عن العلاقة بين السنة والشيعة والذى حاولت المجلة أن تُجيِّره لصالح العراق ولتزكية الفتنة بين بين السنة والشيعة وأهملت فيه ما أورده الدكتور الترابي عن تأييد الحركة الاسلامية المبكر في السودان للثورة الايرانية والذى لا يزال مستمراً وأدان فيه التعصب المذهبى من غلاة الشيعة وغلاة السنة.

* كنتيجة حتمية لتصاعد المقاومة الاسلامية اللبنانية والفلسطينية ضد جيش الاحتلال الصهيوني إرتفعت معدلات الهجرة اليهودية العكسية من فلسطين المحتلة الى خارجها، خصوصاً في أوساط جنود وضباط العدو، الأمر الذى حدا بمسئول الهجرة العكسية في الكنيست وصفها بأنها تشكل «خطراً قاتلاً»،على إسرائيل.

* في عيد ميلاده الثامن والأربعين، فرض صدام حسين ـ رئيس النظام العراقي ـ على كل منزل أن يشعل ٤٨ شمعة وقد شمل ذلك كل العراق من كركوك الى البصرة، وقد هددت سلطات الأمن بنسف أي منزل إذا لم يقم أهله باشعال هذه الشموع إحتفالاً بذكرى ميلاد صدام.

ونلتقي ...

القسام نهوض مستمر

كانت السيارة قد تجاوزت مدينة جنين...مرت الدقائق..رفع صديقي يده باتجاه محدد وقال :هذه قرية يعبد..الأحراش هناك خلف القرية..إنها غابة ضخمة، أحسست بقشعريرة تهزني..نشوة تتملكني..حاولت أن أغالب دمعي دون جدوى إذن هنا كان محط رحاله ومهراق دمه..مولانا الشيخ عز الدين القسام..القادم من «جبلة» حتى دميت قدماه الى «يعبد»،مابين جبلة ويعبد كانت تحولات التاريخ تدور تلقى بنا الى مزيد من الغربة والمعاناة والألم.

مابين جبلة ويعبد كان القسام يحمل في قلبه آلامه ويمضي..يتوقف في الطرقات..في الحوانيت..في البيوت..على أبواب المدارس..في ساحات المساجد..فوق المنابر يتوكأ على بندقيته..كان «الشامي»القادم من جبلة يرسم لفلسطين خارطة جديدة ضد التحولات وضد المرحلة..

ضد التجزئة وهو يتواصل ويتكامل من جبلة الى يعبد

ضد الغرب..يعلو صوته..يغسل أرواح الناس المسلوبة

ضد الغرب..يرفع بندقيته الى صدور عساكرهم

القسام يوم متجاوز وسط أيام عجاف ولحظة مشرقة كالبرق..ومضة خاطفة ولكنها خصبة وولود..مسكونة بكل الرموز القادرة على بعث الثورة وتحقيق ديمومتها.

القسام كلمة السر..التي نبقي نفك رموزها..نكرر المحاولة الصعبة رغم المشقة فالقسام ذهب في خوابي الماء..امتزج بكل طمي فلسطين وأنّا لنا أن نلملمه.

مولانا الشيخ..في زمن الردة..نناديك باسمك فانهض وامسح عن قلب الأمة درن الأيام المتسخة.



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين

* إسلامية شهرية تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات والنشر - لندن.
المقر الرئيسي : لندن ــ المملكة المتحدة

الاشتراك السنوي : ١٥ دولاراً أمريكياً في الولايات المتحدة الأمريكية

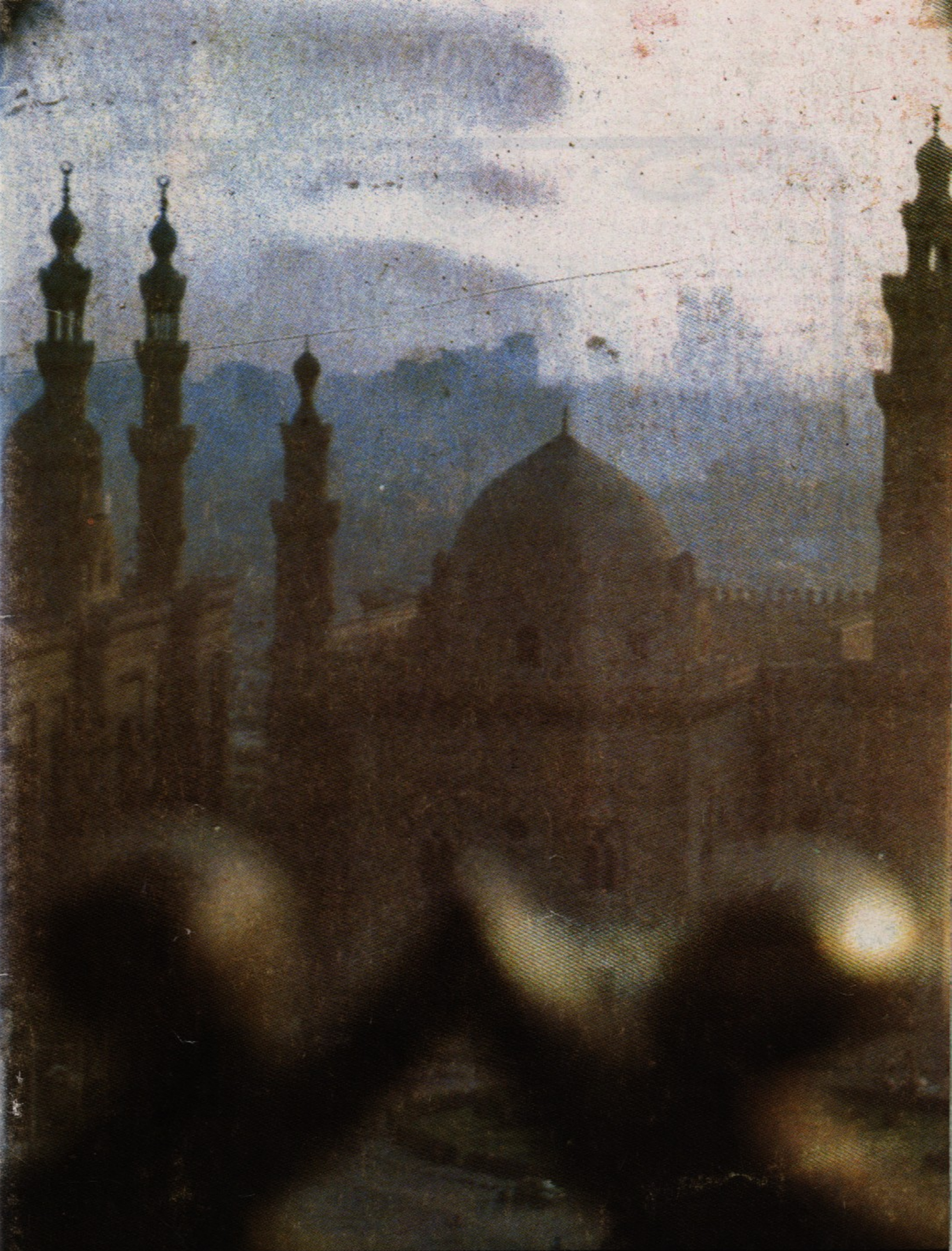
٢٥ دولاراً أمريكياً في الدول الاسلامية وأوروبا

المراسلات والاشتراكات على العنوان التالى :

P.O. BOX 33807
RALEIGH, N.C. 27606, U.S.A.

أو

B M BOX 27
LONDON
WC 1N 3XX



الطليعة الإسلامية